

الإيمان بالملائكة

عليهم السلام

صفاتهم ، أضافهم ، وظائفهم ، مواقفهم

بقلم

عبد سراج الدين

طبع على نفقة المؤلف ، وجميع الحقوق محفوظة له

الطبعة الأولى

١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن عالم الملائكة هو أمر حق ، يجب الاعتقاد بوجودهم والايان بصفاتهم ، فقد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ ، وجميع تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدلُّ دلالة قاطعة على حقيقة وجود الملائكة ، بمعنى أنهم ذواتٌ موجودة . متصفة بصفات حميدة ، وأعمال رشيدة ، وأقوال سديدة ، كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى .

وإن الملائكة عليهم السلام ليسوا ضرباً من الأوهام ، ولا نوعاً من تخیلات الأحلام . كما أنهم ليسوا عقولاً مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية السعيدة المسعدة ، وإنما هم عالم حقيقي الوجود ، غيبي عن العيان المشهود ، أكرمهم الله تعالى وشرّفهم بالنفسيات الطاهرة الزكية ، والصفات القدسيّة ، فهم كرام بررة ، أتقياء طهّرة ، يتقلبون في أعمال الصلاح والخير ، وينفرون من الفساد والشر ، عصمهم الله تعالى بمعصيته ، ووجههم نحو عبادته وطاعته ؛ يسبحون الليل والنهار

لا يفترون ، ولا يعصون ما أمرهم الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون .

وقد كلّف الله تعالى عباده أن يؤمنوا بهم فذكرهم سبحانه في جملة العقائد الإيمانية التي لقنّها سبحانه لعباده بقوله : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ الآية .

وذلك بعد أن عرّف سبحانه عباده في كثير من الآيات القرآنية بأوصاف الملائكة وأصنافهم ، وأعمالهم ووظائفهم المرتبطة بالأكوان حامة ، وبالإنسان خاصة ، كما يتضح ذلك جلياً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فلم يكن وجوب الإيمان بالملائكة ، من باب إلزام الإيمان بما لا يلزم ، أو التعزيف بعالم لاصلة للإنسان به ولا ارتباط له معه ولا فائدة له بالاطلاع والتعرف عليه ! كلاً ثم كلاً .. بل إن في الإيمان بالملائكة عليهم السلام والتعرف على أوصافهم ووظائفهم وأعمالهم ووجوه ارتباطهم بالأكوان والإنسان ، ووجوه تدابيرهم وتصرفاتهم في ذلك كما هو مقتضى مشيئة الله تعالى وحكمته وإذنه لهم في ذلك وأمره لهم بذلك - إن في ذلك لوجوهاً من الحكيم والمعبّر ، للنوي العقول والنظر . نذكر أطرافاً منها موجزة :

•
أولاً - أن يعلم الإنسان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته وبديع حكمته ، وذلك أنه سبحانه خلق ملائكة كراماً لا يحصيهم الإنسان كثرة ولا يبلغهم قوة ، أعطاهم الله تعالى قوة التشكل بأشكال مختلفة حسبما تقتضيه مناسبات الحالات .

ولا ينبغي للعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ما ثبت في الكتاب والسنة ، واستسلم له العقل الصحيح وأقرّ بإمكانه ووقوعه ، إذ لا يستطيع العقل أن يحيل ذلك أو يبطل إمكان وقوعه مهما حاول إلى ذلك سبيلاً .

وأما قول من ينكر ما وراء المادة : كيف يثبت وجود شيء دون أن تراه العين أو تسمعه الأذن أو تحسه اليد ؟ فهذا قول مردود ، لأن إثبات وجود الموجود لا يتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان ، فإن كثيراً من الكائنات هي قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود ، ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها . فهذه الأرواح المدبرة للأشباح ، وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام ، وهذا الهواء الذي ملأ الفراغ والفضاء ، هي كائنات موجودات قطعاً مع أنها لا ترى بالعيان .

ولكن آثار الروح في حياة الجسم وحركته دليل وجودها وقبل

أن تنفخ فيه وبعد أن تنزع منه لاحت في الجسم ولا حراك له . وإن
 إحكام كلام العاقل وحسن تصرفه في أفعاله دليل وجود عقله . وإن
 خلط كلام المجانين وسوء تصرفاتهم في أمورهم دليل فقدان عقولهم .
 وإن شعور الانسان بعوارض الهواء من الحر والقرّ وتحرك الأشجار
 وإثارة الغبار وتموج البحار وما يحمله الهواء من كائنات دقيقة صغيرة
 الحجم بحيث لا ترى إلا بالمكبرات ، كل ذلك يدل على أن الهواء
 موجود قطعاً وإن كانت العين لا ترى ذات الهواء للطافته وإنما ترى
 آثاره وتشعر بعوارضه .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
 إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما
 تعملون بصيراً ﴾ وهذه الجنود هي ملائكة الله تعالى التي نزلت يوم
 الأحزاب ، فزلزلت قلوب المشركين وأرثهم ألوان الأفاعيل ، وأنزلت
 فيهم المخاوف والتهاويل حتى انهزموا وولوا مدبرين في ظلمة الليل البهيم .

وقال تعالى في يوم حنين : ﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب
 الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ﴾ فبين سبحانه أنه أنزل ملائكة
 لم تر العين ذاتهم ، ولكن رأت آثارهم وأفعالهم وتنكيلهم بأعداء الله
 تعالى وتشنيتهم وتعذيبهم وتشريدهم .

ثانيًا : أن يعلم الانسان أن الله تعالى خلق ملائكة أنقياء أقوياء ،
أذن لهم في تدابير المكنونات بأمره تعالى إظهاراً لسلطان ربوبيته وعظمة
ملكه ، وأنه الملك المليك الذي تصدر عنه الأوامر العلوية ، وأن
الملائكة الكرام يتلقونها وينفذون أحكامها ومقتضياتها ، ويدبرون الأمور
وفق مارسم ، كما قال تعالى : ﴿ فآلما دبّرات أمراً ﴾ ويقسمونها وفق
ماحكم ، فهو سبحانه له التدبير المطلق قال تعالى ﴿ أمتن يدبر الأمر ،
فسيقولون الله ﴾ وله سبحانه الأمر المطلق قال تعالى : ﴿ ألا له الحكم
وهو أسرع الحاسبين ﴾ . فن الملائكة عليهم السلام من هم موكلون
بتطوير النطفة في الأرحام وتصويرها ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة
أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم الكرام الكاتبون . يكتبون على
المكلف أعماله الصادرة عنه وأقواله ، ليجزى بها يوم القيامة ، ومنهم
المعقبات الحفظة ، يحفظونه من أمر الله تعالى بذلك ، ومنهم القرناء
بإبن آدم يدلّونه على الخير ويحذّرونه من الشر ، ومنهم الموكلون
بحضور مجالس الصلوات لله تعالى ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس القرآن
الكريم وأنواع الذكر والعبادات ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس
الصلوات على النبي ﷺ وتبليغها له ﷺ مع التسليمات ، ومنهم
المؤمنون على الدعوات ، ومنهم الداعون لابن آدم ، ومنهم المستغفرون
له ، ومنهم الرافعون أعماله الصالحة وأقواله الطيبة إلى رب العزة ،

ومنهم ملائكة الهمم واللمم ، ومنهم ومنهم ... إلى سائر ما هنالك من أصناف الملائكة عليهم السلام وأنواع ارتباطاتهم ومواقفهم من الانسان وبقية الأكوان ، كما ثبت ذلك كله في الكتاب والسنة ، وسنفضله في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومن هنا يعلم الانسان ماذا يجب عليه تجاه مواقف الملائكة معه ومناط وظائفهم المتعلقة به ، فیرعاها حقها ويعمل بمقتضاها ومواجبها .

وخذ مثلاً على ذلك أن الانسان إذا علم أن عليه ملكاً رقيباً يراقبه ، عتيداً حاضر العتاد لا يتركه ، متلقياً عنه ما يصدر منه ، فعليه أن يحسن الإلقاء والإملاء لهذا الملك المتلقي عنه والمستلمي منه الذي يدوّن على الانسان كتابه ويجمعه ، ثم يبسطه له يوم القيامة وينشره ليقراه ، قال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

وهكذا ينبغي للانسان أن يراعي جميع مواقف الملائكة معه المتعلقة بأموره الدينية وأفعاله الاختيارية .

ثالثاً - أن يعلم الانسان أن الله تعالى ملائكة كراماً بررة جعلهم سبحانه وسطاء سفرة بينه وبين أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم . قال تعالى : ﴿ بأيدي سفرة كرام بررة ﴾ ، وقال : ﴿ ينزل الملائكة بالروح

من أمره على من يشاء من عباده أن أئذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴿١﴾
وفي ذلك بيان وإعلان ، وتنويه وتنبيه إلى عظم النبوة والرسالة ، ورفع
منزلة الشرائع الإلهية ، وشرف العلوم الربانية الموحاة إلى الأنبياء
 والمرسلين ، وأن شرائع الله تعالى مجيدة علياء ، كريمة غراء ، لأن
الذي شرعها هو العليم الحكيم ، أحكم لهم أحكامها ، ووضع لهم نظامها
على وجه يضمن مصالح العباد وسعادتهم ، وعزتهم الانسانية ، وكرامتهم
الآدمية ، فانه سبحانه هو أعلم بهم وبما يصلح شأنهم ، إذ أنشأهم من
الأرض وطوّرهم وصوّرهم .

فحقّ للشرائع الإلهية ، العلية القدسية ، وحكمة أحكامها ، وبديع
انتظامها أن تنزل بها أشرف الملائكة وساداتها ، على أشرف الخليقة
الانسانية وساداتها أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله تعالى وسلامه على
إمامهم وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم سيدنا محمد صاحب لواء الحمد
وراية المجد ، وعليهم أجمعين .

هذا وإن موضوع البحث في الملائكة عليهم السلام هو موضوع
واسع جداً ، وقد اقتصر في هذا الكتاب الذي جاء على عجلة من
أمره ، على جل من القول ، وأطراف من المسائل المهمة المتعلقة بالملائكة
عليهم السلام ، لعلّها تفي ببعض المراد من الموضوع ، والله تعالى وليّ التوفيق .

ومحب اليمان بالملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى معلماً لعباده بمجمل الواجبات الاعتقادية ، وملقناً لهم جملة الأصول الإيمانية ، ومبيناً لهم ما يجب عليهم تجاه أوامره الشرعية من السمع والطاعة لأنها جاءت وفق ما أعطى العبد من قدرة واستطاعة فقال سبحانه : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .. ﴾ الآية .

قال المحققون من أهل العلم والمعرفة : إن هذه الآية الكريمة هي فذلكة جامعة لما فصل قبلها من العقائد الإيمانية والأعمال التكليفية ، فجاءت هذه الآية مبينة لما يجب على المكلف أن يعرفه ويؤمن به ، وكيف يجب أن يكون موقف المكلف مع أوامر الله تعالى ، وذلك بأن يقف مع العقائد الإيمانية موقف الإيمان الجازم ، دون شك ولا ارتياب ولا تردد ولا اضطراب ، ويقف مع الأوامر العملية موقف السمع والطاعة ، والانقياد لموجبها ، فقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ .

والمراد : بما أنزل إليه ﷺ من الوحي القرآني والوحي النبوي ، قال الله تعالى : ﴿ وأُنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ ، والحكمة هي السنة النبوية ، وإنما ابتدئ بذكره ﷺ لأنه هو الأوجه والإمام فحق له أن يكون هو الوجه وله الأمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم يأتي ذكر المؤمنين تابعين له سالكين سبيله ، جعلنا الله منهم .

﴿ كل آمن بالله ﴾ ومجمل الإيمان بالله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى حق ، وأنه سبحانه متصف بالكمالات المطلقة التي لانهاية لها ، منزّه عن الآفات والنقائص

ومعنى أن الله تعالى حق : أي هو واجب الوجود ، لا شك في وجوده ، وكيف يُشك في وجوده سبحانه ومصنوعاته موجودة ، وآياته مشهودة ؟ وإلى هذا نبّه الله تعالى العقلاء فقال : ﴿ أفي الله شك ؟ ﴾ ، أي لا شك في وجوب وجوده ، بدليل أنه : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ يعني أن السموات والأرض وما احتوتا عليه موجودة مشهودة ، ولا قدرة لمخلوق على إيجادها ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنها قبل وجودها معدومة قطعاً ، فمن هو الذي نقلها من العدم إلى الوجود ! فإن العدم لا ينشأ عنه وجود فلا بدّ من موجد ، قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ ! ﴾ يعني أنهم شيء موجود

فكيف يصح أن يوجدوا لا عن موجد بل عن عدم؟! فإن ادَّعوا أنهم خلقوا أنفسهم فذاك باطل حساً ، وباطل عقلاً ، لأنه يلزم منه أنهم قبل إيجادهم لأنفسهم كانت أنفسهم موجودة !! فلا بدَّ وأن لهم موجدًا أوجدهم ليس من أنفسهم ، ولا من جنسهم ، بل هو الله الخالق لكل شيء وليس كمثله شيء .

ومما يوضح ذلك ويثبت قطعاً أن الله تعالى هو حقٌّ - بمعنى أنه واجب الوجود - : أن هذه الموجودات الممكنة كانت مسبوبة بالعدم ثم وجدت ، فلا بدَّ لها من موجد يرجع وجودها على عدمها ، فيخرجها من العدم الذي كانت فيه إلى حيِّز الوجود الذي صارت فيه ، ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنه يلزم من ذلك ترجُّح وجودها على عدمها الذي كانت فيه بلا مرجح ؛ وهذا باطل لدى جميع الموازين العقلية ، كما أنه يستحيل ترجح إحدى الكفتين المحسوستين بلا مرجح لدى جميع الموازين الحسية المادية ، لأنه إذا كان ثمة كفتا ميزان متساويتان تماماً فانهما تكونان متعادلتين ، ولا يمكن أن ترجح إحداها على الأخرى إلا بمرجح من الثقلات أو ضغطة هواء ونحو ذلك .

وهكذا الوجود والعدم بالنسبة للممكنات قبل وجودها ، فإنها على حد سواء ، لا يمكن أن يترجَّح وجود الممكن على عدمه إلا

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * ، فمن أنكر كتب الله تعالى وكذب بها فاعرف الله العليم الحكيم ، ولا عرف قدر رب العالمين . قال تعالى : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء .. ﴾ الآية ، نزلت فيمن أنكر نزول الكتب الإلهية وما حوت من السعادات البشرية .

هذا ، وإن الإيمان بكتب الله تعالى المذكورة في الآية يشمل أيضاً الإيمان بكتب الله تعالى القضائية القدريّة ، وهي الكتب التي سطرت فيها جميع الحوادث الكونية والقضايا الخلقية . قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ﴾ ، ويشير إلى هذا قوله تعالى في الإخبار عن السيدة مريم : ﴿ وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ .

وبهذا تكون هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ الآية ، قد اشتملت على العقائد الإيمانية الستة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره . فالإيمان بالقدر داخل في الإيمان بكتب الله القضائية . والإيمان باليوم

الآخر داخل في قوله تعالى : ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ ومجمل الايمان بالرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدهم على كل خير في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ويحذرهم من كل شر في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنها أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا فتنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشّره - المواشي ونحوها - إذ نادى منادي رسول الله ﷺ في « الصلاة جامعة » فاجتمعنا إليه ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء شديد وأمور تنكرونها ، فتجي فتنة فيرقق بعضها بعضا ، فيقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تكشف ، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » .

وأما تفاصيل الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسوله فكلٌّ منها يحتاج إلى كتاب خاص .

وكما أن الله تعالى لقّن عباده جوامع عقائد الإيمانية ، وأجملها لهم في آخر سورة البقرة ، كذلك لقّنهم سبحانه إياها عن طريق الوحي النبوي إلى سيدنا محمد ﷺ ، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام ممثلاً بصورة أعرابي يسأل الرسول ﷺ عن مجامع أمور الدين وكتابتها : الاسلام المتعلق بالأمور الظاهرة ، والايمان المتعلق بالعقائد القلبية ، والاحسان المتعلق بالأحكام القلبية ، وقضايا الساعة وأشراتها ، ليكونوا على بينة من أمرها ويأخذوا حذرهم منها ، لأنها سوف تدرك هذه الأمة . فما أخرج هذه الأمة إلى معرفة أمارات الساعة وأشراتها !.

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :
بينما نحن جلوس في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على خذي - أي فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم المتأدب . أو : على فخذي النبي ﷺ كما في رواية للنسائي : أن النبي

ﷺ كان يجلس بين ظهرا نبي أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم
 هو ﷺ حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً
 يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبينما له دكاناً - أي مرتفعاً - من طين
 فكان يجلس عليه . وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه ، إذ أقبل
 رجل أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً كأن ثيابه لم يمسسها دئس ،
 حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يا محمد ، فرد عليه النبي
 ﷺ السلام . فقال : أدنو يا محمد ؟ فقال ﷺ : ادنُ . فزال يقول :
 أدنو يا محمد ؟ مراراً ، ويقول له ﷺ ادنه ، حتى وضع يديه على ركبتي
 النبي ﷺ - فقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ :
 « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم
 الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت
 إليه سبيلاً » ، فقال - أي جبريل - صدقت . فقال عمر : فمعجبنا له
 يسأله ويصدقّه - يعني أن أمر هذا السائل عجيب ، فإن سؤاله يدل
 على عدم علمه بما يسأل عنه ، وقوله « صدقت » يدل على أن له سابقة
 علم بما يسأل عنه - قال : فأخبرني عن الايمان ، فقال ﷺ : « الايمان
 أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر
 خيره وشره » ، قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان ، فقال
 ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه

يراك » - وفي رواية : « أن تخشى الله كأنك تراه . . » - قال : فأخبرني عن الساعة ، فقال ﷺ : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال فأخبرني عن أماراتها - علاماتها - فقال ﷺ : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة - الفقراء - رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » .

ثم انطلق - أي جبريل - قال عمر : فلبثت ملياً - وقتاً طويلاً - ثم قال لي رسول الله ﷺ : « يا عمر أتدري من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . وقد نقل الامام النووي عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى أنه قال : إن هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه . قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألفنا كتابنا الذي سميناه بـ « المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان » . إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة والله أعلم . اهـ .

— ولما كان الايمان بالملائكة عليهم السلام ركناً من أركان الايمان

لما تقدم ثبوت ذلك بنص الكتاب في الآية السابقة ، ونص السنة في الحديث المتقدم - كان إنكار وجود الملائكة عليهم السلام كفراً وضلالاً قال تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ .

مفهوم الملائكة عليهم السلام^(١)

الملائكة عليهم السلام هم : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التمثيل بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى ، لا يوصفون بأثونة ولا ذكورة .

والدليل على أنهم أجسام لطيفة نورانية ما رواه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

(١) الملائكة جمع ملائكة ، على وزن شمائل جمع شمال ، وهو مقلوب عن مالك ، مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، لأن الملائكة عليهم السلام رسل الله تعالى في تبليغ أوامره أو تديريها أو تنفيذها أو نحو ذلك ، ثم جرى التخفيف على لفظ مالك فقيل ملك . وهناك توجهات أخرى في الاشتقاق .

فقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أصول العوالم الثلاثة :
 الملائكة والجن والانس ، وقدم ذكر الملائكة لأنهم أسبق في الوجود
 على الجن ، ثم الجن لأنهم خلُقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد
 خلقنا الانسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . والجانَّ مِن قَبْلِ مِنْ غَلْصَانٍ ﴾
 نار السموم ﴾ .

فالملائكة خلقت من نور ، وأما الجن فقد خلُق أبوم الأول
 وهو الجانُّ من نار السموم . قال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج
 من نار ﴾ أي من نار مخلوطة بهواء ، كما قاله المحققون ، والمعنى أنهم
 خلُقوا من عنصرين مختلطتين : النار والهواء .

وأما أبو البشر وهو آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فانه
 خلق كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب العزيز حسب
 المناسبات الحكيمة ، فأخبر سبحانه في موضع أنه خلق من تراب ، قال
 تعالى : ﴿ إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ الآية ،
 إشارة إلى المبدأ الأول ، وفي موضع آخر أخبر أنه خلقه من طين ،
 قال تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ إشارة إلى الجمع بين
 التراب والماء . وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من طين لازب ، قال
 تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ إشارة إلى الطين المستقر على

حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير . وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، إشارة إلى ييسه وسماع صلصلة منه ، وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال كالفخار ، قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ . ثم نبّه سبحانه على تكميل هذا الإنسان بنفخ الروح فيه ، فقال سبحانه : ﴿ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ فأمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه ، فافهم . ثم نبّه سبحانه على تكميل نفس هذا الإنسان بالعلوم والمعارف والآداب ، فقال تعالى : ﴿ وعلمّ آدم الأسماء كلها ﴾ الآية .

قال الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه : وإنما قال ﷺ : « وخلق آدم مما وُصف لكم » ولم يقل كما قال قبله - أي في الملائكة والجن - طيباً للاختصار ، لأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم ، وهذا منها ، إذ الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجان ، وأما الإنسان فاختلف خلقه على أربعة أنواع ، فخلق آدم لا يشبه خلق حواء ، وخلق حواء لا يشبه خلق آدم ، وخلق عيسى لا يشبه خلق الكل - أي لا يشبه خلق آدم ولا حواء ولا خلق ذريتهما - فأحال ﷺ على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان . هـ .

ثم إن الجن والانس تشملهما صفة الذكورة والأنوثة ، ويجري
 بينهم التناكح والتناسل ، وأما الملائكة عليهم السلام فلا يوصفون
 بذكورة ولا أنوثة ، فإنهم نوع من خلق الله تعالى وعباد من عباده
 مغايرون لنوع الانس والجن . قال تعالى ردّاً على المشركين الذين حكموا
 على الملائكة بالأنوثة : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً .
 أشهدوا خلقهم ؟ ! ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ .

ومن ثمّ نصّ العلماء في كتب العقائد على كفر من قال بأنوثة
 الملائكة لمعارضة صريح النص القرآني ، كما نصّوا على التبديع المفسق
 لمن قال بذكورتهم .

تمثلت الملائكة عليهم السلام

لقد أعطى الله تعالى الملائكة عليهم السلام قوة التشكل بأشكال مختلفة ، حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يذهبون فيها بأمر الله تعالى .

قال الله تعالى مخبراً عن مريم عليها السلام : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، فجاءها جبريل عليه السلام بصورة بشر سوي الخلق كامل البنية ، يبشرها بغلام زكي النفس ناي الخير برّ الوالدة . قيل ان جبريل عليه السلام جاءها على الصورة التي سيخلق عليها عيسى عليه السلام ، لتكون صورة عيسى الخلقية على الصورة المثالية التي جاء بها جبريل عليه السلام .

ومن تمثلات الملائكة حسب المناسبة ، ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا . قَالَ سَلَامٌ ، قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً . قَالُوا لَا تَخَفْ ، وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ .

ورد أن جبريل وميكائيل وإسرافيل - ويروى معهم غيرهم -

جاءوا إلى خليل الرحمن إبراهيم على نيننا وعليهم الصلاة والسلام ضيوفاً ،
 في صور رجال حسان شبّان عليهم المهابة والوقار ، فقالوا : سلاماً
 - أي نسلم عليك سلاماً - فقال : سلام - أي عليكم سلام دائم -
 فخيّام بأحسن من تحيتهم كما أمر الله تعالى بذلك ، لأن تحيته كانت
 بجملة اسمية دالة على الثبوت والدوام .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على وجوه الثناء من الله تعالى
 على خليله إبراهيم على نيننا وعليه الصلاة والسلام ، ووجوه آداب
 الضيافة الكريمة .

أولاً : قوله « سلام » بالرفع ، وهم سلّموا عليه بقولهم « سلاماً »
 بالنصب . والمرفوع أكمل ، لدلالته على التجدد والثبوت .

ثانياً : قوله « قوم منكرون » فإنهم لما دخلوا عليه ولم يعرفهم
 لأوّل وهلة احتشم من مواجهتهم بلفظ ينقّر الضيف ، فلم يقل أنتم
 قوم منكرون بل حذف المبتدأ ، وهذا ألطف في الكلام والمواجهة .
 ثالثاً : لم يقل إني أنكركم بل قال « قوم منكرون » ، فكأنه
 يعرّض بأن أهل المجلس الذين هم عنده من قبل ، لا يعرفون هؤلاء
 الداخلين من الضيوف ، وفي هذا التعبير بُعد عن المواجهة الخشنة ،
 وهذا مبني على أنه ﷺ لم يعرف في بادئ دخولهم أنهم ملائكة ،

وقال بعض علماء السلف بل قد عرفهم الخليل أنهم ملائكة الله تعالى وإنما عرّض بمن عنده حيث لم يعرفهم .

رابعاً : أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم ، والرّوَّغان هو الذهاب في خفاء ، بحيث يكاد أن لا يُدري به ، وهذا من كرم المضيف وذلك بأن يذهب ليأتي بالضيافة بحيث لا يشعر به الضيف فيشوق عليه ويستحي .

خامساً : ذهب إلى أهله وجاء بالضيافة ، فدلّ ذلك على أنه عليه السلام كان معدّ الضيافة للضيفان ومهيئاً لهم ، ولم يحتج إلى أن يذهب فيشتري أو يستقرض ويهيء لهم .

سادساً : قوله تعالى ﴿ جاء بعجل سمين ﴾ يدل على خدمته عليه السلام للضيف بنفسه ، ولم يقل فأمر لهم ، بل ذهب بنفسه وجاء بالضيافة ، ولم يبعث خادماً ، وهذا أبلغ في الأكرام .

سابعاً : إنه عليه السلام جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه ، وفي هذا تمام الكرم .

ثامناً : إنه عليه السلام قدم عجلًا سمينًا ليس بالهزيل وهو من أغر الأموال التي تُقتنى ، فأثر به الضيفان .

تاسعاً : إنه قرّبه إليهم بنفسه ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في
الأكرام للضيفان .

عاشراً . إنه عليه السلام قال : « ألا تأكلون » وهذا عرض
وتلطّف بالقول ، وهذا أحسن من قوله كلوا ونحو ذلك ، ونظيره
قول المضيف : بسم الله . أو ألا تجربنا ؟ ونحو ذلك من العبارات التي
يوجهها المضيف لضيفه تلطفاً به وتكريماً له .

ومن تمثلات الملائكة عليهم السلام ما ثبت في الصحاح أن جبريل
عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة رجل أعرابي حسن المنظر ،
وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة دحية بن خليفة ، حيث كان جميل
الصورة حسن الهيئة .

فمن تمثله عليه السلام بصورة رجل : ماورد في الصحيحين - واللفظ
للبخاري - عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول
الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله
ﷺ : « أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ -
فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني
فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد

عرقاً . والكلام على الوحي في مثل صلصلة الجرس وبقية أنواع الوحي يأتي في غير هذا الكتاب .

ومن تثلثه بصورة أعرابي ماورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... الحديث كما تقدم .

فاقتضت الحالة التي جاء فيها أن يمثل بصورة أعرابي غير معروف، ليراه الصحابة ويسمعوا سؤاله للنبي ﷺ وليسمعوا جواب رسول الله ﷺ له عن أمور دينهم ، ويتعلموها عن طريق السؤال والجواب ، تنزل في قلوبهم وترسم في ذاكرتهم .

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ بصور حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة . فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل - تنظفاً من آثار السفر - أتاه جبريل عليه السلام فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه - أي نحن الملائكة لم نضع السلاح - وعند ابن سعد : ولم تضع السلاح ملائكة الله تعالى ، اخرج إليهم . فقال ﷺ : « إلى أين ؟ » فقال وأشار إلى بني قريظة ، فخرج إليهم النبي ﷺ .

وعند الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سلم علينا رجل ونحن في البيت فقام ﷺ فزِعاً ، فقامتُ في أثره ، فإذا بدحية الكلبي ، فقال ﷺ : « هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة : فكأنني برسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

وعند البخاري : وهو - أي جبريل - ينفذ رأسه من الغبار . وقال أنس رضي الله عنه - كما في البخاري - : وكأني أنظر إلى الغبار في زقاق بني غم موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة . وعند ابن سعد : فذهب جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غم من الأنصار . ومن هنا يُعلم أن تمثلات الملائكة عليهم السلام تكون على مقتضى الحالات التي يأتون بها كما أمرهم الله تعالى .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة أبرص ثم بصورة أقرع ثم بصورة أعمى ، حيث أرسله الله تعالى يمتحن الذي كان أبرص والذي كان أقرع والذي كان أعمى ، ثم أكرمهم الله تعالى بحسن الحال والصحة والكمال فجاء الملك يَحْتَبِرهم : أيشكرون نعمة الله تعالى عليهم ويعرفونها ويؤدونها حقها ، أم يكفرون ويحمدون نعمة الله عليهم ؟

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم - أي يختبرهم - فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : لون حسن وجلد حسن قد قذّرني الناس . قال : فسحه الملك ، فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . فقال له الملك : وأي المال أحب إليك ؟ فقال : الإبل ، فأعطاه ناقة عُسراء ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى - الملك - الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذّرني الناس . فسحه - أي الملك - فذهب وأعطى شعراً حسناً . فقال الملك : فأَيُّ المال أحب إليك ؟ فقال : البقر ، فأعطاه بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى - أي الملك - الأعمى ، فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يردّ الله عليّ بصري فأبصر به الناس ، قال فسحه الملك ، فردّ الله إليه بصره ، قال : فأَيُّ المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة والدأ ، فأنتج هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من غنم .

ثم إنه - أي الملك - أتى الأبرص في صورته - أي في صورة

الأبرص حير كان أبرص - وهيئته ، فقال - الملك - له : رجل مسكين انقطعت به الجبال - أي أسباب الرزق في سفره - فلا بلاغ له اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أسألك بغيراً أتبتغ به - أي أتوصل به إلى مرادي - في سفري ، فقال له الأبرص : إن الحقوق كثيرة^(١) . فقال له - الملك - كأي أعرفك ألم تكن أبرص يقذرک الناس ، فقيراً فأعطاك الله تعالى ؟ فقال الأبرص : إنما ورثت هذا المال كبراً عن كبر - أي كبيراً عن كبير في العز والشرف - فقال له الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال للأبرص ، فرد عليه الأقرع مثل ماردٍ عليه الأبرص ، فقال له الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل ، انقطعت بي الجبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ،

(١) يريد بذلك أن يستدر عن الاعطاء والاعانة بمعاذير باطلة ، فيقول إن الحقوق عليّ كثيرة من جانب العيال والأقارب ، ومن هنالك ، وهذا جواب الأشحاء إذا طلب منهم العطاء فيعتذرون بأن عليهم مطالبة وهم في ضائقة وشدة ، وكان الملك يقول لهم اللهم آمين .

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بِصْرِكَ شَاةً أَبْلَغَ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ لَهُ
الْأَعْمَى : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِصْرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ
أَغْنَانِي ، نَحْذُ مَا شِئْتُ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ - أَيُّ لَا أَشُقُّ
عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ - فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ ، فَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْكَ وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ .

وهذه التمثلات الملكية هي من باب التظاهر في مثال صوري
مناسب للحال الذي جاء الملك فيها . وهذا المثال له أحكامه الخاصة ،
فلا يلزم من تمثيل الملك بصورة بشر أن تناله الأحكام البشرية من الطعام
والشراب ونحوها ، ولذلك لما تمثّلت الملائكة بصورة الرجال وجاءت
إلى الخليل عليه الصلاة والسلام ضيوفاً وقَدَّمْ لَهُمُ الطَّعَامَ لم يتناولوا منه شيئاً .
فهذا النوع من التمثل الملكي هو من أنواع عالم المثال ، كما أوضح ذلك
الشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه في مواضع متعددة من « الفتوحات »
ونحن نذكر هنا كلمات مختصرة عن عالم المثال وأدلة وجوده وبعض
أحكامه فنقول :

عالم المثال

لقد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن هنالك عالماً برزخياً ،
تتظاهر فيه الأرواح والمعاني والأعمال والأقوال ، بأمثلة حسية تتناسب معها .

ويسمى هذا العالم عند العارفين والعلماء المحققين « عالم المثال »
« وعالم الخيال المنفصل » لأنه غير ماديّ ولأنه جامع لمثال كل شيء .

فمن تمثلات الأرواح الملكية : ماورد في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا
إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ كما تقدم ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ
أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ الآيات ، كما تقدم بيانها قريباً
وقوله ﷺ : « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي مايقول » .
فجميع ذلك من باب التمثلات الملكية في الأجسام المثالية .

وحكم هذا الجسم المثالي إذا تمثّلت به الأرواح الملكية أنه يعتريه
مايعتري الأجسام العنصرية من العوارض الجسمية ، كالغبار وإصابة الجسم
بآفة إذا أصيب بضربة . غير أنه لا يأكل ولا يشرب .

يدلّ على ذلك ماورد في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « جاء ملك الموت إلى
موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك . قال فلطم موسى عين ملك
الموت ففقأها ، قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني
إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني . قال فردّ الله إليه عينه وقال :
إرجع إلى عبدي - أي إلى موسى - فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت
تريد الحياة فضع يدك على متن ثور - ظهر ثور - فما توارت يدك من

شعرة - أي ملوارة وسترة يدك من شعرة تحتها - فانك تعيش بها سنة . فقال - موسى عليه السلام - : ثم مَهْ ؟ - أي ماذا يكون بعد ذلك - قال - ملك الموت - : ثم تموت . قال - موسى - : فالآن من قريب ؛ ربّ أمتي من الأرض المقدسة رميةً بحجر . أي بالنسبة لموضعه عليه السلام أو بالنسبة لبית المقدس ، وذلك ليتقرب من بيت الله تعالى المقدس الذي بارك الله تعالى حوله .

ثم قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » .

فهذا الحديث يدل على أن الصورة المثالية تتأثر بما تتأثر به الأجسام العنصرية من صدمة وضربة صائبة ونحو ذلك ، فقد أثّرت لطمة موسى عليه السلام في الصورة المثالية التي جاء بها ملك الموت . وقد يشكل على بعض الناس ما فعله موسى بملك الموت عليهما السلام . وقد أُجيب عن ذلك بعدة أجوبة :

منها : أن نبي الله تعالى موسى عليه السلام يعلم بمقتضى نبوته أنه لن يقبض نبيٌّ حتى يخيره الله تعالى بين الدنيا والآخرة ، كما ورد في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : « لن يقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ،

ثم يُحيّا أو يُخيّر « فلما نزل به - أي مرض - ورأيتُه على نخذي غُشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : « اللهم في الرفيق الأعلى » قلتُ إذاً لا يختارنا . قالت عائشة رضي الله عنها : وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو ﷺ صحيح - أي من أنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير - فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها : اللهم في الرفيق الأعلى .

فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت ملازماً له بقوله « أجب ربك » احتدّ منه موسى عليه السلام وغضب ، فكان ما كان ، ولكن لما جاء بعد ذلك مخيراً تلقاه بالترحيب والتلطيف دون غصبة ولا تعنيف .

ومن الأجوبة أيضاً : أن ملك الموت لما دخل على موسى عليه السلام بيته بصورة رجل ، لم يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت فصكّه - كما في رواية البخاري - أي ضربه ، على أنه بشر دخل عليه بيته بدون إذنه ، فضربه تأديباً ففقأ عينه ، لا عن قصد منه لذلك . وهذا من باب ما ورد في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من بعض حُجَر النبي ﷺ فقام إليه النبي ﷺ بعِشْقَص - وهو نصل السهم الطويل - قال أنس فكأنني

أنظر إليه يختل الرجل ليطعمه . وفي رواية سهل بن سعد : قال اطلع رجل من جُحْر في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِذْرَى يَحْكُ به رأسه ﷺ . فقال ﷺ : « لو أعلم أنك تنظر لطمعتُ به في عينك . إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وأما الحكمة في إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام بذلك ثم يكون ما يكون في ذلك وجوه من الحكم ، منها : ما ذكره كثير من العلماء والعارفين أن ذلك من باب الاختبار والابتلاء لموسى عليه السلام ، كما اختبر الله تعالى وابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، ولكن هذا الجواب مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان وجه ارتباط كل صورة من هذا الاختبار والابتلاء بمقام صاحبه المبتلى . ولولا مخافة الاطالة لبسطنا ذلك على الوجه الذي بسطه العارفون ، ولكن فيما ذكرنا كفاية .

ثم إن الجسم المثالي هو كما قلنا لا يأكل ولا يشرب ، لأنه ليس جسماً عنصرياً أو أرضياً . قال تعالى : ﴿ وما جعلناهم أجساداً لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين ﴾ أي : وما جعلنا أجساد الرسل أجساداً مثالية لا تأكل ولا تشرب ، وإنما هم أجساد تربية تحتاج إلى الأكل والشرب ، ومن ثمَّ لما جاءت الملائكة عليهم السلام إلى خليل

الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام رجالاً ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً .

وأما الدليل على أن الجسم المثالي تعتريه عوارض الغبار والعرق ونحو ذلك فهذا كما ورد في الحديث المتقدم عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ مرجعه من غزوة الخندق وكان بصورة دحية الكلبي فقال ﷺ : « هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة رضي الله عنها : فكان رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

نُشْرَتُ الْمَعَانِي بِصُورٍ مِثَالِيَةٍ

أما تمثلات المعاني بصور مثالية ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ؛ اقرأوا سورة البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقانٍ من طير صوافٍ تحاجان عن صاحبهما ، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » .

وفي المسند عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله

أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم . فرددها مراراً
ثم قال أبي : آية الكرسي ، فقال ﷺ : « لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمَنْذَرِ .
والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفعتين تقدّس الملك عند ساق العرش » .
وأصل الحديث في مسلم .

وروى الامام أحمد في مسنده عن بريدة قال : كنت جالساً
عند النبي ﷺ فسمعتة يقول : « تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنْ أَخَذَهَا
بِرُكَّةٍ ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةً ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ » قال ثم سكت ساعة
ثم قال ﷺ : « تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ فَانْهَمَا الزَّهْرَاوَانِ
يُظْلَانِ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا غِمَامَتَانِ أَوْ غَيَاتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ
طَيْرِ صَوَافٍ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ
قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ - أَيِ الضَّعِيفِ - يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُنِي ؟ يَقُولُ : مَا أَعْرِفُكَ
فَيَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَظْلَمْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ ،
وَإِنْ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ .
فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ وَيَكْسَى
وَالدَّاهُ حُلَّتَانِ لَا يَقُومُ لَهَا - أَيِ بَقِيْمَتِهَا - أَهْلُ الدُّنْيَا ، فَيَقُولَانِ - أَيِ
وَالدَّاهِ الْقَارِيءِ - : بِمَ كُتِّبْنَا هَذَا ؟ فَيَقَالُ بِأَخْذِ وَلَدِكَا الْقُرْآنِ ، ثُمَّ
يَقَالُ اقْرَأْ وَاصْعِدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرْفِهَا ، فَهُوَ فِي صَعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ
هَذَا » أي وما دام يقرأ ترتيلاً .

ومن تمثلات المعاني : تمثل القرابة الرحمة وتعلقها بعرش الرحمن
جلّ وعلا .

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت
الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ، أما
ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى ، قال :
فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأوا إن شئتم ﴿ فهل عسيتم
إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم
الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

ومن عالم المثال ظهور المغيبات التي هي في عالم الغيب في صور
المحسوسات في عالم الشهادة . روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ
وفي يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » فقلنا : لا
يا رسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال رسول الله ﷺ للذي في يمينه
- أي مشيراً للكتاب الذي في يمينه - : « هذا كتاب من رب العالمين
فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا
يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال ﷺ للذي في شماله : هذا

كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا يتقص منهم أبداً » فقال أصحاب النبي ﷺ : فقيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه ؟ فقال ﷺ : « سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل - أي وإن عمل أي عمل قبل ذلك - وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل - أي قبل ذلك - ثم قال رسول الله ﷺ - أي فعل - هكذا ، فنبذها - أي نبذ الكتابين - ثم قال : « فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ففي هذا دليل واضح على أن هذين الكتابين ليسا من العالم الشهودي ، إذ لو كانا كذلك لتلقاهما الصحابة حين نبذها رسول الله ﷺ ولتراجعوا عليها ، ليتبينوا أمورهم وأمور آبائهم أم في الجنة أم في النار ، ولكن حين نبذها رسول الله ﷺ غابا عن الشهود وبقياً في غيبها . ومما يدل على ذلك أيضاً أن أعظم كتاب في هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم ، كما أن أعظم كتاب من هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم . قال الشيخ الأكبر محي الدين رضي الله عنه : ولو أخذ

المخلوق يكتب هذه الأسماء على ما هي عليه من هذين الكتابين ، لما قام بذلك ورق العالم ، فمن هنا تعرف كتابة الله تعالى من كتابة المخلوقين والفرق بينهما . ا ه .

نشرت الأعمال

قال الله تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

فهو سبحانه يحضر للعباد أعمالهم التي صدرت منهم خيراً أو شراً فيجدونها حاضرة متمثلةً بصورها : الحسنات بصورٍ حسنة نورانية ، والسيئات بصور سيئة ظلمانية . ولا يسوغ حمل ذلك على أنهم وجدوها مكتوبة في صحفهم لأنه سبحانه قال : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ ولم يقل سبحانه : ووجدوا ما عملوا مكتوباً أو مسطوراً ، فإن الكتابة عليهم لها حكم آخر وموقف آخر .

فالأعمال لها صور مثالية يراها العباد كلهم في عالم القبر وعالم الحشر والحساب وما وراء ذلك من عوالم الآخرة .

أما تمثل الأعمال في عالم القبر فيدل على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الميت إذا وضع في قبره وإنه يسمع قرع نعالهم حين يولون مدبرين فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجله ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والأمر بالمعروف والاحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل ... » الحديث . قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

وأما تمثل الأعمال يوم القيامة : ففي المسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة ، فيقول : إنك على خير ، فتجيء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة ، فيقول : إنك على خير ، ثم تجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام ، فيقول : إنك على خير ، ثم تجيء الأعمال - أي الحسنة - فيقول الله عز وجل : إنك على خير ، ثم تجيء »

الاسلام ... » الحديث . قال ابن كثير : تفرد به أحمد .

ففي هذا الحديث دليل ظاهر على تمثل الأعمال في عالم القبر وموقف الأعمال الصالحة مع صاحبها موقف المدافع عنه المحافظ عليه . وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « والصلاة نور ، والصدقة برهان » وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً ، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف » . رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرهما .

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً : « إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني ، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها » .

فالصلاة تتمثل بصورة مثالية نورانية ، ويصعد بها إلى السماء وهناك تشفع بصاحبها عند رب العالمين .

تمثلت الأقوال

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . وقال ﷺ : « والحمد لله تملأ الميزان » .

وروى الترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يتعاطفن - أي يجتمعن - حول العرش ، لهنّ دويّ كدويّ النحل يذكّرن بصاحبهنّ ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكّر به عند ربه ! » .

فللتسبيح والتحميد وسائر الأقوال التي يُذكر الله تعالى بها ، لها صور مثالية نورانية تجتمع إلى بعضها حول العرش وتشفع بصاحبها . ومن ذلك تمثل القرآن يوم القيامة شفيعاً بصاحبه ، كما تقدم في قول النبي ﷺ : « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ... » الحديث .

ومن ذلك وقوف القرآن من الانسان موقف الحجة له أو عليه ،

كما صح عنه ﷺ أنه قال : « والقرآن حجة لك أو عليك » يعني أن قرآن القارىء يأتي يوم القيامة حجة له إن عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل بموجبه .

ويوضح ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يؤتى برجل يوم القيامة ويثقل له القرآن قد كان يضيع فرائضه ، ويتعدى حدوده ، ويخالف طاعته ويركب معاصيه ، فيقول : أي رب حملت آياتي بشئ حامل : تعدى حدودي ، وضيع فرائضي ، وترك طاعتي ، وركب معصيتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبّه على منخره - أي على وجهه - في النار .

« ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده - أي حدود القرآن - ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته ، فيصير خصماً دونه ، فيقول : أي رب حملت آياتي خير حامل : اتقى حدودي ، وعمل بفرائضي واتبعت طاعتي واجتنب معصيتي ، فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يزال به حتي يكسوه حلّة

الإستبرق ، ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك^(١) .

ومن ذلك تمثل الموت يوم القيامة بصورة كبش ، روى الشيخان والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون - أي يرفعون رؤوسهم - وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، ثم ينادي مناد : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، فيذبح بين الجنة والنار - وفي رواية : فيوقف على السور بين الجنة والنار ، فيضجع ويذبح - ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : ﴿ وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر .. ﴾ الآية .

(١) قال في جمع الزوائد : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . ورواه ابن أبي شيبة وابن الضريس ، كما في منتخب الكنز . وذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

تمثلت الأموال

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « والصدقة برهان ... » الحديث . يعني أن الصدقة تأتي يوم القيامة برهاناً لصاحبها على إسلامه ، وتشفع بصاحبها ، كما تقدم .

ومن ذلك تمثل المال الذي لا يُزَكَّى . فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحدٍ لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع - أي حيّة كبيرة قد جلس شعرها من طول عمرها - حتى يطوق به عنقه ، ثم قرأ - النبي ﷺ - مصداقه من قوله تعالى ﴿ ولا يحسبنّ الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شرٌّ لهم ، سيطوون ما خلوا به يوم القيامة ﴾ الآية . قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي بإسناد صحيح وابن خزيمة في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه ، وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيُرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار .

قيل : يارسول الله فالإبل ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحب إبل لا يؤدِّي منها حقها - ومن حقها حلبها يوم وردها - إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها - أي صاحبها - بقاعٍ قرقر^(١) أوفى ما كانت ، لا يفقد منها فصلاً واحداً ، تطوؤه بأخفافها ، وتمضه بأفواهها ، كلما مرَّ عليه أولاه رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قيل : يارسول الله فالبقرة ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحب بقرة ولا غنم لا يؤدِّي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح بقاعٍ قرقر أوفى ما كانت ، لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقضاء - أي ملتوية القرن - ولا جلحاء - أي لا قرن لها - ولا عضباء - أي مكسورة القرن - فتنتطحه بقرنها وتطوؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاه رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . . » الحديث ، رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

(١) القاع : المكان المستوي من الأرض ، والقرقر : هو الأملس .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زديتان ، يُطَوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزِمتَيْه - يعني بشدقي مانع الزكاة - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ الآية . رواه البخاري ومسلم .

تمثلت أيام الربا يوم القيامة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تحشر الأيام على هيئتها ، وتحشر الجمعة زهراء منيرة ، أهلها يحفون بها كالعروس تُهَيَّأ إلى خدرها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضاً ، ويريحهم كالسك يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان - أي الجن والانس - لا يطفون تعجباً حتى يدخلوا الجنة ، لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون »^(١) .

وبالجملة فإن عالم المثال هو عالم واسع كل السعة تتمثل فيه المحسوسات

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب : رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وقال : إن صح الخبر ، فإن في النفس من هذا الاسناد شيئاً . قال المنذري : اسناده حسن وفي متنه غرابة اهـ .

والمعنويات ، والأشباح والأرواح ، على اختلاف مراتبها . فتبارك الله رب العالمين .

عبادة الملائكة عليهم السلام وخسبتهم من الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستسحرون - أي لا يتعبون ولا يعلّون - يستبشرون الليل والنهار لا يفترون ﴾ .

فالملائكة عليهم السلام لا يعترهم تعب عن عبادة الله تعالى ، ولا فتور عن تسبيحه سبحانه ، بل حياتهم هي طاعتهم لله تعالى وعبادتهم له وتسبيحهم وتحميدهم .

قال تعالى : ﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يستبشرون له في الليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ . كما وأنهم يستغفرون لمن أذن الله تعالى أن يستغفروا له من أهل الأرض ، قال تعالى : ﴿ والملائكة يستبشرون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعني أنه يجب استغفار الملائكة لمن في الأرض ، لأنه هو الغفور الرحيم ، وهو سبحانه قد أذن لهم بذلك ، فيجيبهم على ذلك .

روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « إني أرى ملا ترون ، وأسمع ملا تسمعون ، أظنت السماء وحق لها أن تظط^(١) ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجارون إلى الله تعالى »^(٢)

صورة الملائكة لله تعالى

قال تعالى : ﴿ والصافات صفاً ، فالزاجرات زجراً . فالتاليات ذكراً . إنَّ إلهكم لواحد ﴾ . أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة : الصافات للصلاة والعبادة بين يدي رب العالمين ، كما صح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ » قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ فقال ﷺ : « يُتمثّلون الصفوف المتقدمة ويتراصّون في الصف »^(٣) . وفي رواية : « يكتملون الصف الأوّل ويتراصّون في الصف » .

(١) أي ظهر لها صوت من كثرة الملائكة فوقها .

(٢) والمعنى : لخرجتم إلى صُعدّات الأرض ومرقعاتها تفرعون إلى الله تعالى وتستغيثونه .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم .

وأما الزاجرات زجرًا فهي الملائكة التي تزجر السحاب وغيره لتسوقه حيث أمرها الله تعالى ، وقيل : المراد بالزاجرات الآيات الزاجرات عن المعاصي والمخالفات . نعم الآية تشمل ذلك كله .

وأما التاليات ذكرًا فهي الملائكة تتلوا كلام الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ، فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ . وقال تعالى غِبْرًا عن الملائكة : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ .

ويبين ذلك ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثَ : جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا ، وَجُعِلَ لَنَا تَرَابُهَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ » .

وروى ابن جرير وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أُقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قيامًا ، يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ ثم يقول عمر رضي الله عنه : تأخر يافلان ، تقدم يافلان ثم يتقدم - إمامًا - فيكبر .

فقد فضّل الله تعالى هذه الأمة المحمدية ، على رسولها أفضل

الصلاة والسلام بأنواع من الفضائل ، ومن ذلك أن تشبّه باللائكة في صلاتهم لربهم ، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفًا .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام مع ما هم فيه من كثرة عبادتهم واستغراقهم في التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ، هائمين في ذلك مولعين - مع هذا كله - فانهم إذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ماعبدناك حقَّ عبادتك - أي أنت أكبر وأجل - لأنحصى ثناءً عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك .

وروى الطبراني وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبرٍ ولا كفٍ إلا وفيه ملك ساجد ، أو ملك راکع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ماعبدناك حقَّ عبادتك إلا أنا لانشرک بك شيئاً » .

خوف الملائكة عليهم السلام من الله تعالى وخشيتهم منه

قال الله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . فأخبر سبحانه عن الملائكة أنهم يخافون ربهم ، أي لأنه سبحانه ربهم مالك ذواتهم ، وييده بمقاييد أمورهم ، له القوة والغلبة ، والسلطة والهيمنة . روى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن رجلٍ من أصحاب

النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال «إن الله ملائكة ترعد فرائضهم من خيفته تعالى، مامنهم ملك تقطر منه دمة إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» (١).

وقال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون ﴾ وذلك لأن الخشية من الله تعالى هي على حسب العلم به سبحانه ، قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وأعلم الناس بالله تعالى هو أخشاهم لله تعالى - ﷺ - كما قال « أما والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية » .
وبيان ذلك أن الخوف من الله تعالى له أسباب متعددة نذكر جملة منها :

الأول - خوف الذنب ، أي خوف العبد من ذنبه مع الله تعالى . وهذا النوع من الخوف ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها - معرفة العبد بالجناية وقبحها . ثانياً - تصديق العبد

(١) من العلماء الذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم الحافظ ابن كثير في « تفسيره » وقال : « إسناده لا بأس به » اهـ .

بالوعيد على الذنب وأن الله تعالى رتب على المعصية عقوبتها .
ثالثها - أن يعلم العبد أنه قد يمنعه من التوبة موانع ، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب أو وقع في المعصية .

وهذا النوع من الخوف بهذا السبب لا يتصور في حق الملائكة عليهم السلام لأنهم معصومون عن المخالفات ، كما سيأتي بحث ذلك إن شاء الله تعالى .

الثاني - من أسباب الخوف ، علم العبد بأن الله تعالى هو مقلب القلوب ، وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو العالم الحكيم ، فينشأ عند العبد خوف من ذلك .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين أولي الأبواب الذين يقولون ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهْبًا لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

وروى مسلم والترمذي واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت : يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ فقال ﷺ : « نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

ففي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ الصحابة إلى الإكثار من هذا الدعاء تخوفاً عليهم، فإن الله تعالى هو الفعال المطلق لا مانع له، ولا معقب لحكمه ولا راداً لأمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والكل له عيب .
فهذه الحضرة الإطلاقيه لها أحكامها من الخشية والخافة، وهي توجب على العارف بالله تعالى أن يراها حقها . كما فصله العارفون نفعنا الله تعالى به .

الثالث من أسباب الخوف - الإجلال والإعظام ، وهذا الخوف - أي خوف الاجلال والاعظام - يكون على حسب معرفة العارف بربه وعظمته وجلاله وكبريائه، وعلى حسب مقام قربه، كما قال العارف المحاسبي: خوف المقرّبين - من الانبياء والملائكة - خوف إجلال وإعظام، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى . ١ هـ .

الرابع من أسباب الخوف والخشية من تعالى الله - أن يعلم العبد أن أحداً لا يقدر الله تعالى حق قدره من الثناء عليه والحمد له وتسيحه وتكبيره كما هو سبحانه الكبير المتعال ، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ أحمدُ الحامدين رب العالمين وأكرم الأولين والآخرين : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنتَ كما اثنيت على نفسك » .

تكریم الله تعالى مملوكته علیهم السلام
وذكره لهم فی مناصب العز والشرف

قال الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ .

فقد وصفهم سبحانه بأنهم عباد مكرمون ، لهم شأن كريم ومقام
عظيم ، أكرمهم سبحانه بحبه وبقربه ، وأقامهم في المقامات العالية ،
وأزلهم المنازل السامية ﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾ وصفهم بكمال الطاعة والالتقاد
لأمره تعالى وأديهم مع ربهم بحيث لا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه
أو يأمرهم به . ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ وصفهم بكمال طاعتهم في الأعمال وأنهم
بأمره يعملون لا من تلقاء أنفسهم . ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ فهم
على مراقبة دأمة في جميع تقلباتهم وحركاتهم وسكناتهم ، لأنهم يوقنون أن
علمه سبحانه محيط بهم . ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ أي لا يشفعون
إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفعوا له .

وقال الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم
قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

ففي هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته سبحانه التي سجلها في جميع كتبه ، وسطرها على صفحات مكنوناته ، وفي ذلك وجوه من العزة والكرامة ، والشرافة والمكانة ، للملائكة الكرام والعلماء العظام الذين قرنهم الله تعالى بملائكته .

أولاً - إنه سبحانه استشهد بشهادة نفسه جلّ وعلا وهو أجلّ شاهدٍ ، وكفى بالله شهيداً ، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة وأولوا العلم وكفاهم بذلك شرفاً وفضلاً على غيرهم من المخلوقات .

ثانياً - إنه سبحانه لا يستشهد من خلقه إلا الشهود المدول البررة ، ففي هذه الآية دليل على عدالتهم وثقتهم ، وصدقهم وأمانتهم وتركيتهم وتقيتهم .

ثالثاً - إنه سبحانه استشهد بالملائكة وأولي العلم على أجلّ مشهود ، وأعظم معبود ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن المعلوم بدهاء أن العظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أفاضل الخلق وسادتهم وكبراهم .

رابعاً - إنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم - أي الملائكة وأولوا العلم - عنده سبحانه بمنزلة أدلته وبراهينه الدالة على توحيده سبحانه .

هذا وإن اقتران ذكر أولي العلم بالملائكة في مقام الشهادة والاستشهاد بشهادتهم ، دال على قوة المناسبة وإحكام المشابهة بين أولي العلم وبين الملائكة عليهم السلام من وجوه متعددة ، وذلك أن الملائكة طهّرة أطهار ، برّرة أخيار ، ذوّوا نفسياتٍ زكيةٍ وسرائرٍ قدسيّةٍ ، وهم أنصح خلق الله تعالى وأنفعهم لبني آدم فهم يثنون على محسنهم ويستغفرون لمسيئهم ، ويعينونهم على أعدائهم ، من شياطين الانس والجنّ ويحرصون على مصالح العباد أضاع ما يحرص العباد على مصالحهم ويلهمونهم خير الدنيا والآخرة ، ويحذرونهم من شر الدنيا والآخرة . وهكذا موقف العلماء العاملين مع خلق الله تعالى أجمعين .

فالمناسبة هي علّة الضمّ والجمع بين جمعٍ وجمعٍ ، فما أشبه العلماء العاملين بملائكة رب العالمين نفعا الله تعالى بهم أجمعين .

رُؤساء الملائكة عليهم السلام

منهم السادة جبريل عليه السلام وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ويسمى عزرائيل^(١)، ولكل منهم أعمال ووظائف يقوم بها بإذن الله تعالى

(١) أما معاني هذه الأسماء فقد روى البيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قال : جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه « إيل » فهو معبد لله تعالى . أي لأن اسم إيل بالبراني معناه « الله » . وروى ابن جرير وغيره =

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال سألت عائشة رضي الله عنها : بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة إذا قام الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » . وروى النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر » . وروى الحاكم عن أبي المليح عن أبيه أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر فصلّى قريباً منه فسمعه يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار » ثلاث مرات . وفي هذه الأحاديث ما يدل على أفضلية هؤلاء الملائكة الثلاثة وكرامتهم عند الله تعالى .

ومن أسرار ذكر هؤلاء الثلاثة مع اسمه الشريف ﷺ أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة ، فسيّدنا محمد ﷺ جاء روح العالم . قال

عن علي بن الحسين رضي الله عنها أنه قال : اسم جبريل عبد الله ، واسم ميكائيل عبيد الله ، واسم إسرافيل عبد الرحمن ، وأما عزرائيل فعنه عبد الجبار . عليهم السلام .

تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. ﴾ الآية . وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياةً سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. ﴾ الآية .

وأما جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى الأنبياء ، وهو سبب الحياة للعباد والبلاد . وأما ميكائيل عليه السلام فهو الموكل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والانسان والحيوان . وأما إسرافيل عليه السلام فهو الذي ينفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى بنفخته ، فاذا هم قيام رب العالمين .

صفات جبريل ووظائفه القويمة

قد تظاهرت الأدلة القرآنية والنبوية على فضائل جبريل عليه السلام وكريم منزلته عند الله تعالى . قال الله تعالى في بيان صفات جبريل عليه السلام : ﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين ﴾ .

فقد أثنى الله تعالى في هذه الآيات على جبريل عليه السلام ، وبَيَّن أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيب رب العالمين إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أفضل خلق الله تعالى أجمعين ﷺ ، وأن

الثناء على الواسطة هو في الحقيقة ثناء على الموسوط له ، المبلغ إليه .
وفيه بيانٌ عظيمٌ مقام سيدنا محمد وشفاعة قدره ﷺ عند ربه ، ولذلك
أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم صاحب المقام الكريم والأمر المطاع
فقال سبحانه ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني بهذا الرسول الكريم
جبريل قطعاً ، لأنه سبحانه ذكر بعد ذلك صفات جبريل عليه السلام
المعينة له . وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فالمراد به سيدنا محمد ﷺ ، بدليل أنه سبحانه ذكر
بعده ما يردُّ على أعدائه ﷺ الزاعمين أنه شاعر أو كاهن ، فقال :
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا
مَّا تَكْذِبُونَ . نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يعني أن هذا القرآن الكريم
كلام الله تعالى نزله سبحانه على رسوله محمد ﷺ بواسطة الرسول الملكي
جبريل عليه السلام ، فإضافته إلى الرسول الملكي تارة بقوله تعالى :
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وإضافته إلى الرسول البشري تارة بقوله
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ في الحاقة ، هي إضافة تبليغ لا إضافة
إنشاء ، وإلا تناقضت الإضافتان . ثم إن لفظ الرسول يدل على ذلك ،
فإن الرسول هو من يبلغ كلام من أرسله ، وهذا صريح في أن القرآن
كلام الله حقاً ، وأن سيدنا محمد ﷺ بلغه عن الله تعالى بواسطة جبريل
الأمين عليه السلام .

وفي وصف الله تعالى لجبريل بأنه «كريم» فيه ترقية كاملة لسند القرآن وأن الذي نزل بالقرآن على سيدنا محمد ﷺ هو رسول كريم جميل المنظر ، بهيَّة الصورة ، كثير الخير طيب مطيب ، عظيم العلم والمعرفة عظيم الأسرار والأنوار ، اجتمع فيه الكرم الصوري والمعنوي فحقيق بمن هذا وصفه أن يكون واسطة نزول القرآن إلى صفوة الأكرام حبيب الرحمن ، سيدنا محمد ﷺ ، وذلك لتنام المناسبة ؛ كما قيل : والجنس يألفه الجنس .

كما بين سبحانه في وصف جبريل عليه السلام أنه « ذو قوة » فهو بقوته يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم ، أو تنال منه شيئاً ، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رأته الشياطين هربت منه . وأيضاً فإن جبريل بقوته هو معاضد لرسول الله ﷺ ومؤيد له وناصره ، ومن كان هذا الملك القوي عضده وناصره فمن الذي يستطيع أن يفلبه أو يخذله ؟ كما وأنه ذو قوة في عبادته لله تعالى وطاعته ، وفي تنفيذ أوامر الله تعالى ، فهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدائن كبرى بقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها كما سيتضح قريباً .

ثم وصفه تعالى بقوله : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ﴾

فله شرف العندية العظمى والرتبة الزلفى ، وأنه مكين أي ذو مكانة سامية ورتبة عالية .

كما وصف الله تعالى جبريل بأنه ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ يعني أنه مطاع هناك في الملائكة الأعلى فيما بين الملائكة المقربين عليهم السلام ، يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه ، وإذا نزل في أمرٍ حفت به الحشود والجنود من الملائكة تحت راية إمارته وقيادته ، كما ورد ذلك حين كان ينزل بالقرآن الكريم على النبي ﷺ ، وأيضاً في نزوله يوم بدر حين التقى الجمعان وقد تراءى إبليس للمشركين بصورة رجل من بني مدلج ، وقال لهم ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ فلما نزل جبريل عليه السلام ونزلت معه الملائكة ورأى ذلك عدو الله قال للمشركين ﴿ إني بري منكم إني أرى مالاترون ﴾ أي جبريل ومن معه من الملائكة ﴿ إني أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ .

كما وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ﴿ أمين ﴾ فهو أمين وحي الله تعالى وموصله بأمانة وصدقٍ إلى أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم من غير تغيير وتحريف .

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه الروح الأمين . قال تعالى :

﴿ نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وسمي جبريل

عليه السلام روحاً ، لأنه روح كله ، لا كالناس الذين في أبدانهم أرواح
ولأنه روح عظيمة قوية التأثير في الأحياء ، ولذا كان من الحكمة أنه يرسل
إلى مريم فينفخ فيها ، فيخلق عيسى عليه السلام ويُعطى قوة على إحياء
الموتى بإذن الله تعالى . ومما يدل على قوة روح جبريل عليه السلام ما ذكره
الله تعالى في قصة السامري قال : ﴿ فما خطبك ياسامري ﴾ . قال : بَصُرْتُ
بما لم يبصروا به ، فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك
سوَّلت لي نفسي ﴾ . قال علي كرم الله تعالى وجهه : إن السامري
رأى جبريل عليه السلام راكباً على فرس حين جاء ليذهب بموسى عليه
السلام إلى الميقات ، ولم يره أحد غيره من قوم موسى ، فأخذ السامريُّ
من موطئ فرس جبريل قبضةً من التراب - أي لأن السامريُّ رأى
كلما رفع الفرسُ يديه أو رجليه عن التراب اليابس يخرج النبات ،
فعرِف أن هذا التراب فيه آثار حيوية - فألقاها في جسد عجلٍ قد صاغه
من ذهب فكان له خوار .

قال الشيخ الأكبر : وكان ذلك من إلقاء الشيطان في نفس السامريِّ ،
لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح ، فوجد السامريُّ في نفسه هذه القوة ،
وما علم أنها إلقاء من الشيطان فقال : وكذلك سوَّلت لي نفسي . اهـ

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه روح القدس . قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ الآية . وسبب ذلك لقدسية نفسه وطهارتها من الأدناس ، ولأنه ينزل بالتقديس من الله تعالى ، أي ينزل بما يطهر النفوس ويقدر العقول والقلوب ، وهو القرآن الكريم والحكمة والفيوضات الإلهية ، والقدس معناه الطهارة والبركة ، والتقديس معناه التطهير والمباركة ، فجبريل عليه السلام ذو قداسة وتقديس ، قال رسول الله ﷺ : « إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ^(١) » ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته ^(٢) .

من وظائف سيرنا جبريل عليه السلام

إن لسيدنا جبريل عليه السلام أعمالاً هامة عظيمة يقوم بها بإذن الله تعالى وأمره ، فمن ذلك أنه هو الذي ينزل بالشرائع الربانية ،

(١) والمعنى أن روح القدس جبريل عليه السلام ألقى الوحي في خلد النبي ﷺ أو في قلبه أو في عقله هذا المقال اه فيض القدير .

(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه عن جابر ، ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود كما في شرح المواهب .

وينزل بالكتب الإلهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، ولذلك يسمى الناموس الأكبر كما سيأتي في حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . والناموس في أصل اللغة هو صاحب سر الخير ، وسمي جبريل عليه السلام بذلك لأنه أمين الله تعالى على أسرارهِ الموحاة إلى أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم . قال الله تعالى : ﴿ قل نزل به روح القدس من ربك بالحق .. ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ﴾ .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة - وفي رواية لمسلم : الصالحة - في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء - أي الخلوة - فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو أي التحنث : التعبُد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها ، حتى جاءه الحق - أي الأمر الحق وهو الوحي ، سمي حقاً لمجيئه من عند الله تعالى . أو المراد جاءه رسول الحق وهو جبريل - وهو في غار حراء فجاءه الملك - أي جبريل عليه السلام - فقال : اقرأ فقال ﷺ : ما (١) أنا بقارئ .

(١) قال بعضهم : « ما » نافية بدليل رواية : ما أنا بقارئ ، ما أحسن أن أقرأ . وقال بعضهم : هي استفهامية ، بدليل رواية أبي الأسود عن عروة : كيف أقرأ ، ورواية ابن إسحاق عن عبيد بن عمير : ماذا أقرأ؟ اهـ . من شرح الزرقاني على المواهب .

فأخذني فغطني - أي فضمني - وفي رواية الطبراني وابن اسحق : ففتني - وهو الضمُّ مع حبس النفس - حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد^(١) ، ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك^(٢) الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : « زمِّلوني زمِّلوني » فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيتُ على

(١) هذه الضمات الجبريلية القويَّة فيها الافراغات والافاضات بالأسرار والأنوار الالهية ، والعلوم والمعارف الربانية التي تنزل بها جبريل عليه السلام ، من حضرة الحكيم الملام على مختلف وجوها التي تعمُّ النفس والقلب والروح . وفي الصحيح عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علِّمه الكتاب » وبذلك فتح على ابن عباس وأفيض عليه .

(٢) أي : اقرأ باسم ربك الذي هو سبحانه ربك وتعهَّدك منذ صغرك ، فانه هو الذي يقرئك القرآن ويعلمك إياه ويبيِّن لك ممانيه ، وإن لم تكن متعلماً القراءة والكتابة من قبل ، فانك تقرأ باسم ربك ولست تقرأ بموجب علم سابق اكتسبته من المخلوقات لأنك أميٌّ - أي لم تتعلم القراءة - قال تعالى : ﴿ إنَّ علينا جمعه وقرآنه - أي علينا أن نجعله لك وأن تقرأه - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إنَّ علينا بيانه ﴾ أي : نبينه لك ثم أنت تبينه للناس .

نفسى « أي لقد خشيت على نفسى أن لا يتحمل ذلك جسمى ولا تقوى قوتى لذلك . فقالت خديجة : كلاً والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة - وكان امرأاً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانيّ فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً ، ليتي أكون حيّاً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أومخرجي هم ؟ ! » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصرّاً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

تأييد الله تعالى رسله صلوات الله تعالى عليهم بجبريل عليه السلام:

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام أنه يؤيد الله تعالى به أنبياءه ورسله صلوات الله تعالى عليهم .

قال الله تعالى في تأييده لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾

فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ فهو سبحانه يخاطب زوجتي رسول الله ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما بقوله ﴿ وإن تظاهرا ﴾ أي تظاهرا وتعاوننا على رسول الله ﷺ بما يسوءه من إفراط الغيرة ﴿ فإن الله هو مولاه ﴾ أي هو سبحانه ناصره ومتولي أمره كله ﷺ ﴿ وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ أي كلهم أعوان مظاهرون ومؤيدون لهذا الرسول الكريم ﷺ . وفي هذا دليل على عظيم انتصار الله تعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ وأن امرأتين إن يصدر منهما تظاهر عليه فإن الله تعالى الكبير المتعال هو مولاه الناصر له ﷺ وإن جبريل بقوة وسطوته وصالح المؤمنين بعزيمته وهمته والملائكة بجمعيتهم وجمهرتهم ، كل أولئك مؤيدون لرسول الله ﷺ . يعني أنه سبحانه لا يسلمه ﷺ ولا يتركه في ذلك فكيف يسلمه ويتركه فيما هو أشد من ذلك ؟! فاعتبر يا عاقل بما هنالك لتعلم فضل رسول الله ﷺ وكرامته عند الله تعالى .

وقال تعالى في تأييده لعيسى عليه السلام بجبريل عليه السلام : ﴿ وآتينا عيسى بن مريم اليّنات وأيدناه بروح القدس ﴾ وقال : ﴿ إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ... ﴾ الآية فأيدّه الله تعالى بروح القدس - أي

جبريل عليه السلام - منذ صباه إلى حال كبره ، وبهذا التأيد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود ، فقد تماثلاً اثنا عشر ألف يهودي لقتله فلم يتمكنوا منه ، قال تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرتك من الذين كفروا... ﴾ الآية .

كفاية الله تعالى رسوله ﷺ شر المستهزين - بواسطة جبريل عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزين ﴾ . أنزل الله تعالى هذه الآيات على رسوله ﷺ حين كان في مكة وقد تصدّى له المشركون بالأيذاء والهزاء ، فقال له الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ أي إجهر بما تؤمر وأظهره علناً بما فيه من الحجج القاطعة والأدلة الساطعة التي تفرق بين الحق والباطل ، والنور الذي جثم به والظلمات التي يعمهون فيها . ثم تكفل الله له بكفائته ﷺ أذى المشركين وهزاء المستهزين به وبما جاء به فقال : ﴿ إنا كفيناك المستهزين ﴾ . والمعنى : أعلن الدعوة بإرسال الله واجهر بها ، ولا يهمنك أمر المشركين وإيذاؤهم لك واستهزائهم بك ، فإننا بسلطاننا وقدرتنا نكفيك شرهم ونقيك ضررهم ونرد كيدهم في نحرهم .

فقد ثبت عن ابن عباس وأنس وغيرهما^(١) أن هذه الآية نزلت في خمسة من المشركين - وقيل ثمانية - كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة ، والعاص بن وائل ، فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ فشكاهم إلى جبريل - أي ذكر له تماميهم في هزئهم وأذيتهم - .

ثم إنهم مروا بالنبي ﷺ على عادتهم يستهزئون فأراه ﷺ الوليد فأوماً جبريل عليه السلام إلى أكله فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » فقال له جبريل عليه السلام : كفيته ، ثم أراه الأسود ابن المطلب فأوماً جبريل عليه السلام إلى عينيه - أي إلى عيني الأسود - فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » - أي لم تضربه وإنما أشرت إليه إشارة - فقال جبريل عليه السلام : كفيته - أي بهذه الإشارة - ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأوماً إلى رأسه ، فقال ﷺ لجبريل عليه السلام : « ما صنعت شيئاً » فقال جبريل : كفيته . ثم أراه الحارث فأوماً إلى بطنه ، فقال له ﷺ « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيته ثم أراه العاص بن وائل ، فأوماً جبريل عليه السلام إلى أخصيه ، فقال

(١) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن كما في « الدر المنثور » و « شرح المواهب » للزرقاني . وانظر سيرة ابن هشام وتفسير ابن كثير وغيرها .

له ﷺ : « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيْتُكَ .

فانظر آثار تلك الایماء الانتقامية الجبريلية من المستهزئين بسيد البرية .
 فأما الوليد فمرَّ برجل من خزاعة وهو يریش نبله فأصاب أكله
 فقطعها . وأما الأسود بن المطلب فإنه نزل تحت سَمرة - أي شجرة
 سمرة - فجعل يقول ألا تدفعون عني ؟! قد هَلَكْتُ ! أطمعن بالشوك
 في عيني ! فجعلوا يقولون مانرى شيئاً ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .
 وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فأت منها ، وأما الحارث
 فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج رجيعة من فيه فأت منه ، وأما
 العاص فركب إلى الطائف فربض - أي وقع - على شِبْرَةٍ فدخل في
 أخمص - أسفل - قدمه شوكة فقتلته . وفي رواية للبيهقي والضياء باسناد
 صحيح أن جبريل عليه السلام أوماً إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فضرته
 الأكلة فامتخض رأسه قيحاً فأت .

تأييد الله تعالى أنصار رسول الله ﷺ ومؤيديه بجبريل عليه السلام :

وهذا من وظائفه عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً
 يؤمنون بالله واليوم الآخر يُؤادون مَنْ حادَّ الله ورسوله - إلى قوله -
 وأيَّدهم بروحٍ منه ﴾ الآية . قال بعضهم : أيَّدهم بالقرآن وحجته . وقال
 بعضهم : أيَّدهم بنور إيمانٍ وهدى وبرهانٍ . وقال بعضهم : أيَّدهم
 بجبريل عليه السلام .

وجاء في الصحيحين عن البراء أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت :
 «أهجم - يعني المشركين - وجبريل معك» وفي الصحيحين من طريق سعيد
 ابن المسيب قال : مرَّ عمر بحسَّان في المسجد وهو ينشد - أي الشعر -
 فلحظ إليه فقال : كنت أنشد وفيه - أي في المسجد - من هو خير منك .
 ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت النبي ﷺ
 يقول : «أجب عني . اللهم أيده بروح القدس ؟» فقال أبو هريرة :
 اللهم نعم .

وروى أبوداود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال «إن
 روح القدس مع حسَّان مادام ينافع - أي يدافع - عن رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم» .

تحبيب الله تعالى جبريل عليه السلام بأحبابه الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات، وتبغيضه سبحانه لجبريل في أعدائه الذين يبغضهم رب العالمين،
 والنداء الجبريلي لذلك في السماوات والأرض . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ .

روى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
 الله ﷺ قال : «إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببتُ
 فلاناً فأحبَّه، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الارض . فذلك

قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾
وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني قد أبغضت فلاناً فينادي في
أهل السماء ، ثم تُنزل له البغضاء في الأرض .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَحَبُّ
فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيَحِبُّهُ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فُلَانًا
فَأَحِبُّوهُ ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ
اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا
فَأَبْغِضْهُ ، فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا
فَأَبْغِضُوهُ فَيَبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءَ فِي الْأَرْضِ . »

تهديد الله تعالى المعاندين لرسله وتخويفه المعارضين بواسطة جبريل

عليه السلام :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ، وَظَنُّوا
أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ؛ خَذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
فقد جاء أن بني إسرائيل لما توقفوا عن أخذ التوراة وأبجؤا أن يقبلوها
حين جاءهم بها موسى عليه السلام ، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام
أن يرفع فوقهم جبل الطور وقيل لهم : إن قبلتم التوراة والعمل بها

وإلا ليقمنَّ عليكم ، فوقع كلُّ منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه ، وهناك قيل لهم ﴿ خذوا ما آتيناكم ﴾ من مضامين التوراة ومشتملاتها ﴿ بقوة ﴾ أي بجِدِّ وعزم ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أي احفظوه ولا تنسوه واعملوا به ولا تتركوه ترك المنسي ﴿ لعليكم تتقون ﴾ أي : تتظنون في سلك المتقين المتوقين عن قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق .

أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركي الشرائع الإلهية بواسطة جبريل

عليه السلام :

ومن وظائف جبريل عليه السلام أنه هو الذي ينزل بالشرائع الإلهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، كما وأنه هو الذي يتعهد بها فيؤيد مؤيديها وأنصارها ، ويحارب محاربيها وينتقم من جاحديها والمستهزئين بها ، وكلُّ ذلك عن أمر الله تعالى وإذنه .

فهو الذي صاح بقوم ثمود ، قال تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا برحمة منا ومن خزي يومئذٍ . إن ربك هو القويُّ العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ساقطين على وجوههم لاصقين بالتراب ، وكان جزاؤهم من جنس عملهم فإنهم آذوا رسول الله صالحاً بأراجيف الأقوال والتهديد له ، وتعالوا بأصواتهم

عليه يصيحون به مستهزئين وساخرين ، فجاءتهم الصيحة الجبريلية من فوقهم هزّت قلوبهم وخلعتها ، وجاءتهم الرجفة الشديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقّت الحقائق ، وحلّت بهم المثالات - أي العقوبات المائلة - .

وهو الذي رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وقلبها عاليها سافلها ، وذلك أنهم لما انقلب مزاج نفوسهم ، وانعكست ميولاتهم الشهوانية عن سنن الطباع الإنسانية ، وقد تمكّن ذلك منهم بسبب شدة طغيانهم وإفراطهم في مصارف شهواتهم ، حتى اكتفى رجالهم برجالهم ، ونسأؤهم بنسائهم ، كما ورد أنه قيل لمحمد بن علي رضي الله عنهما : عذّب الله تعالى نساء قوم لوط بعمل رجالهم ؟ فقال : الله تعالى أعدل من ذلك ولكن استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وآخرون بإتيان المرأة من عجيزتها أي دبرها اه فكان جزاء انقلابهم النفساني الانقلاب المكاني وكم بين النفوس الإنسانية والآفاق الكونية من ارتباطات وتناسبات : صحةً وفساداً وعماراً وخراباً ، يعلمها ذووا البصائر والدرايات . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۚ ۞ ﴾ الآية . وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ ۚ ﴾ أي ظن متحجّر ﴿ منضود ﴾ أي منضد ، حيث

إنه أَعَدَّ وَهَيْئَةً لِعَذَابِهِمْ ، فجاء به منظماً في الإرسال ، يرسل بعضه إثر بعض دون انقطاع ولافتور ، متوالية فوقهم كتوالي قطر الأمطار الشديدة * مسومة عند ربك * أي عليها سيما أنها ليست من أحجار الأرض كما أنها معاملة باسم من يُرمى بها ، أي كل حجرة وفيها اسم مَنْ ترميه وتصيبه ، وكانت أحجاراً كبيرة الحجم ، عظيمة الجسم ، قوية الحطم والهدم .

* وما هي من الظالمين بعباد * وفي هذا تهديد ووعد لمن نحا نحو قوم لوط في ظلم نفوسهم وفساد مزاجهم . عياداً بالله تعالى .

روي أن مدائن قوم لوط كانت خمسة - وقيل سبعة - كبرى فيها العدد الكثير والجم الغفير من السكان ، فلما حقَّ عليهم العذاب جاء سيدنا جبريل عليه السلام ، فاقتلع تلك المدائن من نخومها ، بريشة من جناح من ستمائة جناح له ، ورفعها وقلعها ، ثم أهوى بها كما قال تعالى : * والمؤنكة - أي المنقلبة - أهوى . فغشاها ما غشى * أي غطاها بمطار الحجارة الشديدة على شكلٍ فظيعٍ عظيمٍ جداً .

كما أن جبريل عليه السلام كان هو الحاشر لأتباع فرعون والملاحق لهم ليجمع آخرهم على أولهم ، حين لحق فرعون وقومه رسول الله موسى عليه السلام وقد توجه بأتباعه نحو البحر . قال تعالى * فأتبعوم

مشرقين ﴿ أَيِ اتَّبَعَ فرعون وقومه نبيَّ الله تعالى موسى وقومه ووصلوا إليهم عند شروق الشمس ، فلما تراءى الجمعان - أَيِ تقاربا بحيث رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه ﴾ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴿ أَيِ الملحقون ، وذلك باعتبار أنهم انتهوا إلى سيف البحر ، فصار البحر أمامهم والعدوُّ من ورائهم ، وأرادوا بذلك التحزُّنَ وإظهارَ الشكوى لموسى عليه السلام ليُحسن التدبير والتفكير في طريق المخرج من هذا المضيق ، فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ إلى ما فيه نجاتكم ونصركم على عدوكم ﴾ وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ﴿ أَيِ فيطيعك فورَ ضربه وينفلق عن عدة مسالك ، يتَّسع لكل من هو معك سالك . أخرج ابن أبي حاتم وغيره أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : اللهمَّ يامن كان قبل كل شيء ، والمكون لكل شيء ، والسكَّان بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجاً . فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر . وقد أوحى الله تعالى إلى البحر أن يتهيأ لذلك ، كما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أوحى تلك الليلة إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك ، فبات البحر تلك الليلة وله أفكَل - أَيِ رعدة واضطراب - لا يدري من أيِّ جوانبه يضربه موسى عليه السلام ، فحين ضربه موسى عليه السلام ﴿ فانفلق فكان

كلُّ فرقٍ كالطود العظيم ، وأزلقنا ثمَّ الآخرين ﴿ أي قَرَّبنا هناك
الآخرين فرعون وقومَه قَرَّبناهم من قوم موسى عليه السلام ، وألحقناهم
بهم حتى يدخلوا البحر على إثرهم ، كما ألحقنا الآخرين من قوم فرعون
بأولهم وجمعناهم إلى بعضهم لئلا ينجوَ منهم أحد ، وكان ذلك بواسطة
جبريل عليه السلام ، كما أخرج عبد بن حميد وابن عبد الحكم عن مجاهد
التابعي المفسر أنه قال : كان جبريل عليه السلام بين بني إسرائيل وبين
آل فرعون فجعل جبريل عليه السلام يقول لبني إسرائيل : ليلحق آخركم
بأولكم ، ويستقبل آل فرعون فيقول رويدكم - أي مهلكم - ليلحق
بكم آخركم ، فقالت بنو إسرائيل : ما رأينا سائقاً أحسن سياقاً من هذا
- يشيرون إلى جبريل ولكن لم يعرفوه - وقال آل فرعون : ما رأينا
وازعاً - أي جامعاً - أحسن زعة من هذا .

وروى ابن جرير وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن
عباس رضي الله عنهما أن فرعون كان على فرس أدهم حصان فلما هجم
على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل عليه السلام
على فرس أثنى ، فلما رآها حصان فرعون اقتحم البحر خلف فرس
جبريل عليه السلام ، وقيل لموسى عليه السلام : ﴿ واترك البحر رهناً ﴾
أي مفتوحاً ذا فجوةٍ واسعةٍ على حاله ولا تغلقه وراك ليلجَه العدو ،

ودخل فرعون وقومه البحر حتى آخروهم ، وجاز قوم موسى عليه السلام البحر عن آخروهم ، ثم أطبق البحر على فرعون وقومه .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : نزل جبريل عليه السلام يوم غرق فرعون وعليه عمامة سوداء .

كما وأن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل حصون بني قريظة

وصفوفهم ، فقد روى ابن سعد من مرسل حميد بن هلال أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله إنهض إلى بني قريظة فقال : « إن في أصحابي جُهداً - أي تبعاً - من غزوة الخندق فلو أنظرتهم - أي أخرتهم - أياماً » فقال جبريل : إنهض إليهم فلا ضعفنهم ، وعند ابن إسحق : أن جبريل عليه السلام قال : إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإنني عامد إليهم فزلزل بهم حصونهم . فأمر ﷺ مؤذناً فأذن : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

وفي رواية ابن عائذ عن جابر رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يغسل رأسه مرجعه من طلب الأحزاب إذ وقف عليه جبريل عليه السلام فقال ما أسرع ما حملتم - السلاح ! - والله ما نزعنا - نحن الملائكة - من لأمتنا - أي سلاحنا - شيئاً منذ نزل العدو . قم

فشدَّ عليك سلاحك ، فوالله لأدقنهم دقَّ البَيْض على الصفا . وأراد بذلك أنه يلقي الرعب في قلوبهم حتى يصيروا كالهالكين، ثم يزلزل بهم فيزلهم من حصونهم . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وأُنزل الذين ظاهروهم ﴾ أي عاونوا المشركين يوم الخندق ﴿ من صياصيهم ﴾ أي حصونهم ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ .

القوى الملكية والعظمة الجبرية

قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

ذكر سبحانه في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السماوات والأرض، ثم أردف ذلك بذكر ملائكته سبحانه، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية ، وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية ، وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاءً وقوة ، فجعلهم أولي أجنحة ، فمنهم ذو الجناحين ، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة ، ومنهم ذو أربعة أجنحة ، ومنهم الاكثر من ذلك ، لأنه سبحانه يزيد في الخلق ما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة ، فانه لا تعجز قدرته عما خصصته إرادته ، واقتضته

حكمته ، لأنه على كل شيء قدير ، وفي ذلك إيماء إلى زيادة الحسن والجمال في خلق الملائكة عليهم السلام ، وزيادتهم في القوة ، وأنهم في ذلك على مراتب متعددة ، فقد وردت الأحاديث في بيان عظمة جبريل عليه السلام وكثرة أجنحته .

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ، وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ، فراه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظيماً خلقه ما بين السماء والأرض .

فكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ ويتراءى له في صور متعددة فتارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي حيث كان جميل الصورة بهي المنظر وتارة يأتيه في صورة أعرابي ، وتارة في صورته الجبريلية الحقيقية التي خلق عليها ، له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب وقد رآه ﷺ على هذه الصورة مرتين في القول الشائع ، فالمرّة الأولى كانت في بطحاء مكة رآه ﷺ منهبطاً من السماء إلى الأرض ، والثانية عند سدة المنتهى ليلة المعراج .

وروى الامام أحمد بالسند الجيد القوي ، عن ابن مسعود رضي

الله عنه أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل^(١) والدرّ والياقوت ما الله به عليم. وروى أحمد أيضاً بالسند الجيد القوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدرّ والياقوت» .

روى أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حُلّةٍ من رفرِفٍ قد ملأَ السماء والأرض^(٢) .

(١) التهاويل جمع تهويل ، وهو ما يهول الناظر ويدهشه بجماله وبداعة محاسنه ، ويقال للرياض ذات الزهور المختلفة الألوان : التهاويل ، والمراد هنا من تهاويل جبريل عليه السلام : مبدعات جماله التي جمّله الله تعالى بها ، ودرّ أنواره التي حلاّه الله تعالى بها .

(٢) قال في فتح الباري : وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف ، وأنه حُلّة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ متكئين على رفرِف خضر ﴾ الآية وأصل الرفرف ما كان من الديباج - أي الحرير - رقيقاً حسن الصنعة ، ثم اشتهر استعماله في الستر، وكلّ ما فصل من شيءٍ فمطف وثني فهو رفرِف ، ويقال : رَفَرَف الطير بجناحيه إذا بسطها ، وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف ، كذا قال - أي بعض الشراح - والرواية التي أوردتها توضح المراد . اهـ كلام صاحب الفتح .

ولا يلزم من رؤيته ﷺ جبريل ليلة المعراج عند سدرة المنتهى -
لا يلزم من ذلك أنه ﷺ لم يره ليلة المعراج كما توهمه بعض
الناس، وإنما الحق أنه ﷺ رأى جبريل عند السدرة، كما وأنه ﷺ رأى ربه ليلة
المعراج، ولا يتنافى ذلك هذا، لما ثبت في الأدلة الصحيحة، وليس هنا موضع بسطها.
وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « رأيت جبريل
منهبطاً وقد ملأ ما بين الخافقين، عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ
والياقوت » رواه أحمد وغيره .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث
عن فترة الوحي فقال في حديثه : « فينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من
السماء فرفعتُ بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، قاعد
على كرسي بين السماء والأرض ، فخشيتُ منه حتى هويتُ إلى الأرض
فجئتُ إلى أهلي فقلت : زملوني زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله
تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ، وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ
فَاهْجِرْ ﴾ .

فهذا الملك هو جبريل عليه السلام الذي جاء إلى النبي ﷺ قبل
هذه المرة بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .. ﴾ الآيات الخمسة
فاتها أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق ، ثم فتر الوحي
فكان أول ما نزل بعد فترة الوحي خمس آيات من أول المدثر .

خُشْيَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ .
 روى الطبراني وابن أبي حاتم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن النبي
 ﷺ قال : « مررتُ ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالجلس
 البالي من خشية الله » (١) .

وعن زرارة بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : « هل
 رأيتَ ربك ؟ فانتفض جبريل - أي ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة -
 وقال يا محمد : إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نورٍ لو ذنوت من بعضها
 لاحتقرت » . قال صاحب المشكاة : هكذا في المصابيح ، ورواه أبو
 نعيم في الحلية عن أنس إلا أنه لم يذكر فانتفض جبريل اه . قال
 الشارح : وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي
 ﷺ قال : « سألت جبريل هل ترى ربك ؟ فقال : إن بيني وبينه
 سبعين حجاباً من نورٍ لو رأيتُ أدناها لاحتقرتُ » .

(١) قال في جمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

تلقي جبريل عليه السلام الوحي عن رب العالمين
واستفراق الملائكة من هيئة الوحي

عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
« إذا أراد الله تعالى أن يوحى بأمرٍ تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي
أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع ذلك أهل السموات
صعقوا وخرثوا وسجدوا ، فيكون أوّل من يرفع رأسه جبريل عليه السلام
فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ؛ فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة
فكلّمًا مرّ بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول :
قال الحقّ ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلّهم مثل ما قال جبريل ،
فيتمهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء
والأرض » (١) .

وهذه الرجفة الشديدة التي تأخذ السماوات من سطوات الهيبة
هي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ حم عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم . له ما في السموات وما في الأرض ، وهو
العلي العظيم . تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ - أي من سطوة

(١) رواه الطبراني والبيهقي وابن جرير وابن خزيمة ، وأصله في الصحيحين كما سيأتي ،
وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرها .

الوحي الوارد عليهم من فوقهن ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ الآية

اكرام سيدنا رسول الله لجبريل الامين عليه السلام

لقد كان لجبريل عليه السلام عند رسول الله ﷺ ، منزلة كريمة ومحبة عظيمة ، ورتبة مكينة ، وأخوة متينة ، فكان ﷺ كثيراً ما يخاطب جبريل عليه السلام بصيغة الأخوة فيقول : « يا أخي يا جبريل » وكان ﷺ ينتظر زيارته و يترقبها ويستزيده منها ، حباً فيه واشتياقاً إليه ، كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » فنزلت ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً﴾ .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول على النبي ﷺ أربعين يوماً - وفي رواية اثنتي عشرة ليلة - ثم نزل ، فقال له النبي ﷺ : « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل : بل أنا كنتُ إليك أشوق ، ولكني مأمور ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل : أن قل له : ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ . الآية

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ في إسرائه إلى المسجد الأقصى ، يقوم بواجب تكريم النبي ﷺ وحفاوته ، وإظهار فضل مقامه ورتبته ، وتقديعه ﷺ إماماً بالأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ ليلة المعراج كما صح في أحاديث المعراج ، فكان يعيش في ركاب عزيز الجناح ، ويفتح له الأبواب ، ويفتح له الخطاب عند التقائه ﷺ بالأحباب أي عند التقائه ﷺ باخوانه الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم - فكان جبريل عليه السلام يفعل ذلك قياماً بواجب التعظيم ، والاحترام والتكريم ، لمقام هذا الرسول الكريم إمام الأنبياء والمرسلين ، وأكرم الأولين والآخرين على رب العالمين صلوات الله تعالى عليه وعلى جميع إخوانه التبيين .

إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه

خشيته من الله تعالى : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ﷺ « إن الله تعالى خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره - أي من خشية الله تعالى - بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون

نوراً ، ما منها نور يدنو منه **« إلا أحترق »** ^(١) . قال في المشكاة : رواه الترمذي وصححه .

إسرافيل يخبر النبي ﷺ بمقامي الملكية والعبدية :

روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا فقال : « يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى لآل محمد سفة من دقيق ، ولا كف من سويق » فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال ﷺ « أمر الله تعالى القيامة أن تقوم ؟ » فقال جبريل : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك ، فاتاه إسرافيل فقال : إن الله قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك ، أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فان شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً - ثلاثاً - قال ﷺ : « فأشار جبريل إلي بيده - أن تواضع - فعرفت أنه - أي جبريل - لي ناصح ، فقلت : نبياً عبداً . ثم قال ﷺ : فلو أني قلت : نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً » ^(٢) .

(١) ورواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في شرح المواهب والخصائص الكبرى وغيرها .

إسرافيل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ بمقاليد الدنيا :

روى الإمام أحمد وابن حبان والضياء برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُتيتُ بمقاليد الدنيا على فرسٍ أبلق - أي في لون سواد وبياض - جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية : جاءني به إسرافيل . قال الزرقاني : ولاتناني بين ذلك لأنه من باب تعدد المجيء وأن كلا من جبريل وإسرافيل عليهما السلام جاء بذلك أو أن الآتي بذلك جبريل وصحبه إسرافيل عليهما السلام . والظاهر هو الأول .

وقد اختار النبي ﷺ مقام العبدية ولم يختار الملكية تواضعاً لله تعالى وعبودية له وتقرباً وتجبباً ، لأن مقام العبدية أحب إليه سبحانه وأقرب لديه ، ولكل مقام أحكام ومطالب انفصلها في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وينبغي أن يُعلم أن النبي ﷺ قد انطوى له مقام الملكية في مقام العبدية ، غير أنه أخفاه ولم يظهر العمل بمقتضاه ، دلَّ على ذلك حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجن تقلَّت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، فأمكنني الله منه

فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه كلُّكم ، فذكرتُ قول أخي سليمان ﴿ ربِّ هبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴾ .

إسرافيل عليه السلام يدعو الخلائق عن أمر الله تعالى فيخرجون من قبورهم :

قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

والمعنى : ومن آياته تعالى الدالة على وجود ذاته وكمال صفاته ، قيام السماء والأرض على هيئتهما الوجودية وكيفيتهما الكونية ، بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره لهما ، ثم إذا دعاكم بعد انقضاء ذلك الأجل المسمى - وأنتم في قبور الأرض - دعوة واحدة إذا أنتم تخرجون سراعاً .

وإسرافيل عليه السلام هو الذي يدعو الخلائق بأمر الله تعالى قال تعالى : ﴿ فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداع إلى شيءٍ نكُرٍ . خُشْعاً أبصارهم ، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عسير ﴾ .

جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى : ﴿ وإنَّ يَرَوْا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ . والمعنى : فأعرض عن أولئك المعرضين عن

الإيمان بآياتنا بعدما رأوها ، وأنذرهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نُكْرُ - أي فظيع تنكره النفوس - وهو هول الموقف يوم القيامة ، وما فيه من البلاء والكُرب والشدائد عياداً بالله تعالى ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ أي ذليلةً أبصارهم ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ - أي القبور - ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ في كثرتهم وتموجهم وانتشارهم وسرعة سيرهم إلى المحشر ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ - أي مسرعين إليه متوجعين صوبه مادي أعناقهم نحوه .

وإسرافيل عليه السلام هو المنادي في الخلائق يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ واستمع يوم يُنادِ المنادِ من مكانٍ قريبٍ ﴾ - أي قريب من الخلائق ، ليأخذ النداء منهم كلَّ مأخذ ، ويؤثر فيهم كل التأثير ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ - أي من القبور - روي : أن إسرافيل عليه السلام ينادي : يَا أَيَّتُهَا الْعِظَامُ النَّخِرَةُ ، وَالْجُلُودُ الْمُتَمَزِّقَةُ ، وَالْأَشْعَارُ الْمُتَقَطِّعَةُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعِيَ لِفَصْلِ الْحِسَابِ ^(١) ، ويروى : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ .

(١) رواه ابن عساکر والواسطي وابن جرير ، كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرهما .

إسرافيل عليه السلام هو صاحب القرن - وهو الصور - الذي

ينفخ فيه :

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ .
وقد يَسَّنَّ النبي ﷺ أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام ، فروى الترمذي وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كيف أنعم - أي كيف أنعم بنعيم الدنيا - وقد التقم صاحب القرن^(١) وحنا جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ ؟ ! » ، فكان ذلك ثقل على الصحابة فقالوا : يا رسول الله كيف نفعل أو كيف نقول ؟ فقال ﷺ : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله . وربنا قال : على الله توكلنا » .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إسرافيل صاحب الصور ، وجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وهو بينهما »^(٢) .

(١) المراد بالقرن هنا الصور الذي هو جمع الأرواح بعد مفارقة الأشباح ، وهو عالم كبير ليس كروياً ، بل هو على شكل القرن .

(٢) رواه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في الدر المنثور وغيره .

مول ميكايل عليه السلام

إن لميكايل عليه السلام مناصب عديدة ، فمنها : أنه أحد وزيري سيدنا رسول الله ﷺ في السماء . كما روى الترمذي بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لي وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ؛ فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكايل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر » .

قال العلامة القرطبي : في الحديث دليل على أن المصطفى ﷺ هو أفضل من جبريل وميكايل عليهما السلام اه قال عبد الله : وهذا استنباط حسن وكلام حق ، لأنه حيث كان جبريل وميكايل في المنزلة عنده ﷺ منزلة الوزيرين ، فنزلته ﷺ عندهما منزلة الرئيس النبيل والآمر الأصيل ﷺ ، وإن شأن الوزير أن يشد الأزر عند احتدام الأمر . قال الله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ﴾ وموسى أفضل من هارون عليهما السلام .

وقد روى الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً : « إن الله تعالى أيّدني بأربعة وزراء ، اثنين من أهل السماء : جبريل وميكايل ،

واثنين من أهل الأرض : أبي بكر وعمر . » .

ومن أجل هذا المنصب الوزاري نزل جبريل وميكائيل عليهما السلام يوم أحد يقاتلان إلى جاني رسول الله ﷺ ، كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيتُ على يمين رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أحد رجلين ، عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ، مارأيتهما قبلُ ولا بعدُ . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقول سعد رضي الله عنه مارأيتهما قبل - لا ينافي ماورد في البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » - أي حامل السلاح - فيحتمل أن سعداً لم يرَ جبريل يوم بدر .

وجاء في حديث الطبراني والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في جملة من حديث طويل : « قلتُ : يا جبريل على أي شيء أنت ؟ - أي على أي شيء ولاك الله تعالى في جملة ما أمرك به - قال : على الرياح والجنود . قلتُ : على أي شيء ميكائيل ؟ فقال : على النبات والقطر^(١) . » .

(١) وقد أورد هذا الحديث صاحب الدر المنثور وقال : سنده حسن . أي لغيره لا اعتضاده بشواهد متعددة .

صحة العرش المعبر

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۝۝ ﴾ الآية .

فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعزُّزًا وتشرفًا ، وفي ذلك مظهر لسلطان الملك ، ومقام هيبة الربوبية .

كما يبيِّن سبحانه عدَّة حملة العرش فقال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ فحملة العرش يوم القيامة هم ثمانية بنص الآية ، ولكن اختلف في عددهم الآن . فقال بعضهم : هم الآن أربعة واستدلوا بما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن زيد مرفوعاً : « إن العرش يحمله اليوم أربعة ، ويوم القيامة ثمانية » .

وقال بعضهم : هم الآن ثمانية أيضاً ، واستدلوا بما رواه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عمر قال : حملة العرش ثمانية ، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

واختلف في المراد بالثمانية ؟ فقائلون بأنهم ثمانية من الملائكة ، وقائلون بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة . فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة ، لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى .

روي أن أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، على حلمك بعد علمك ، وتُجيبهم الأربعة الثانية : سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك . والله تعالى أعلم .

عظمة حملة العرش : روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أُحدث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه - أي كتفه - مسيرة سبعة أعوام » . وجاء في رواية الطبراني : « أن ما بين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعة سنة ، يقول : سبحانك حيث كنت » . وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أُحدث عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة ، والعرش على منكبيه ، وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون ^(١) » . هية حملة العرش ومن يلونه من سطوات الأوامر الإلهية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الشَّافِعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ^(٢) قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الْحَقُّ ، وَهُوَ

(١) والمعنى : سبحانك في قديمك الذي لا أول له ، وسبحانك في بقائك الذي لا آخر له ، قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح اه .

(٢) التفريع : إزالة الفزع ، فصيغة التفعيل هنا للسلب ، والمعنى : حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الملائكة المتسبب عن سطوات الأوامر ، الصادرة عن مقام العلي الكبير ، ذي العظمة والكبرياء .

العلي الكبير *

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه - وفي رواية عبد الرزاق : من الأنصار - فري بنجم فاستنار - أي أضاء الشهاب - فقال ﷺ : « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . فقال ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياة ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستنبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كلِّ سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطف الجنُّ السمعَ فيُرمون - أي ترميهم الملائكة بالشهب - فاجابوا به على وجهه فهو حقٌ ، ولكنهم يقرِّفون فيه ويزيدون » (١).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ

قال : « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

(١) يعني أن الجن المسترقين للسمع يسمعون تلك الكلمة من ملائكة السماء الدنيا فيزيدون فوقها مائة كذبة ويصدقون بتلك الكلمة التي سمعوها ويكذبون بما وراءها . وهذا الحديث رواه مسلم واللفظ له والامام أحمد والترمذي والنسائي .

خُضْعَانًا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزَّعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقُّ وهو العليُّ الكبير ، فيسمعها مسترقُ السمع ، ومسترقُ السمع هكذا : بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا كذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء .

وظائف حملة العرش ومن حوله :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

يخبر الله سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ، وداثبون على الإيمان به ، والاستغفار للؤمنين . أما

التسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمالا يليق ، وأما التحميد فهو إثبات المحامد له سبحانه لكماله ولنواله ، وذلك أن الله تعالى يستحق الحمد على كماله الذاتية وصفاته العلية ، وعلى إحسانه وإنعامه وبرّه وإفضاله على سائر مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ - أي يؤمنون به إيماناً عملياً - وهو قيامهم بأنواع العبادات التي يعبدون الله تعالى بها ، من سجادات وصلوات ونحو ذلك من التعبّات العملية التي يأمرهم الله تعالى بها .

وذلك لأن الإيمانَ قد يطلق على الإيمان العمليّ المبني على الإيمان الاعتقادي كالصلاة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ الآية ، قال بعض السلف : المراد بالإيمان هنا الأعمال التعبّدية كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أي أعمالكم التعبّدية المبنية على الإيمان الاعتقادي التصديقي ، وقد نزلت هذه الآية في الصلاة ، كما صحح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما وُجِّهَ رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ - أي ما حكم صلواتهم الماضية قبل التحول إلى الكعبة المشرفة - فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ

ليضع إيمانكم ﴿ الآية . أي صلاتكم ونحوها من بقية الأعمال الإيمانية ^(١) .

وعلى هذا فقد وصف سبحانه حملة العرش ومن حوله بأنهم دائبون على التسبيحات والتحميدات القولية ، دائمون على العبادات العملية ، كما وصفهم سبحانه بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ لمناسبة الإيمان الجامعة بينهم . فإنها جعلت بينهم ولاءً ومحبةً وشفقةً ونصيحةً . فهم يقولون ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا ﴾ والمعنى أنهم سألوا الله تعالى متوسلين إليه بسعة رحمته كل شيء وهي الرحمة المعنية باسم « الرحمن » الذي عمّت رحمته كل شيء : العرش والفرش قال الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . ومتوسلين إليه بسعة علمه وإحاطته بكل شيء أن يغفر سبحانه للذين تابوا - أي رجعوا إلى الله عما لا يرضاه - .

﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ أي صراط شرعك الذي أقتنه لهم وأمرتهم أن يتبعوه ويمشوا على منهاجه دون أن يعدلوا عن سَنَنِ استقامته إلى المنحرفات والمعوجات . قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

(١) وذلك لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ، ولكن سبب النزول هو قطعي الدخول في الآية ، فجميع الأعمال الشرعية العقيدية داخلة في قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ الآية .

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون * .

* وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم * وفي هذا تمام الفضل والنعمة عليهم ، وذلك بأن يقيمهم الله تعالى عذاب الجحيم ويتفضل عليهم فيدخلهم جنة النعيم ، إذ لو وقاهم العذاب وحده ولم يدخلهم الجنة لبقوا على السور بين الجنة والنار . فسبحان الكريم الغفار .

* ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم * وفي هذا الدعاء قرّة أعين المؤمنين التائبين المتبعين سبيل ربهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فيدخل من صلح منهم الجنة إلحاقاً بهم ، ليزداد نعيمهم ويتضاعف سرورهم من جميع الوجوه والاعتبارات . قال تعالى * والذين آمنوا * أي إيماناً عظيماً * واتبعتهم ذريتهم بإيمان * أي دون إيمان آبائهم * ألحقنا بهم ذريتهم * (١) الآية .

* وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم * وهذا دعاء لهم أن يحفظهم الله تعالى من السيئات

(١) وهذا دليل على أن النسب الصالح ينفع ، فبه يلحق المتابع المقصّر في عمله بأصوله المجدين في أعمالهم ، وأما البطيء في عمله عن السير والمتابعة فقد قال ﷺ : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وفي قوله تعالى * وكان أبوها صالحاً * دليل صريح على نفع النسب الصالح ، فانه سبحانه أمر الخضر عليه السلام أن يقيم الجدار - أي يرفعه مستقيماً بعد ميله للهبوط - حفظاً لكتز اليتيمين تحته ، إكراماً لأبيها الصالح .

في الدنيا والآخرة ، فلا يسوء لهم حال ولا يساء لهم وجه ، ومن وقاد الله تعالى السيئات يوم القيامة فقد رحمه سبحانه برحمته الخاصة المعنوية في قوله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ وقوله ﴿ يختص برحمته من يشاء ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ اللهم اجعلنا منهم .

فأكرم المؤمنين على ربهم ! إنهم لتستغفر لهم حملة العرش ومن حوله ويدعون لهم بكل خير ، ويسألون الله تعالى لهم كل سعادة وبر ، ولمن يلوذ بهم من الآباء والأزواج والذرية . وما كان ذلك إلا عن أمر الله تعالى لهم بذلك ، لأن الملائكة لا يسبقونه تعالى بالقول وهم بأمره يعملون .

اعلم رب العالمين حمدة العرش بحبه ورضاه وعن ارتضاه، وغضبه على
من أغضه ، ثم تنزل ذلك في العوالم السعادية والارضية

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ^(١) ﴾ .

روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ، فيقول
الله عزَّ وجلَّ لجبريل : إِنَّ فَلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يَرْضِيَنِي ، أَلَا وَإِنْ
رَحِمْتِي عَلَيْهِ ، فيقول جبريل : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى فَلَانٍ ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من
حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض - زاد ابن مردويه
في روايته عن ثوبان : فقال ﷺ : وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ - وَإِنْ
الْعَبْدُ لِيَلْتَمِسَ سَخَطَ اللَّهِ فيقول الله : يَا جِبْرِيلُ إِنَّ فَلَانًا يُسَخِّطُنِي ،
أَلَا وَإِنْ غَضِبْتِي عَلَيْهِ ، فيقول جبريل : غَضِبُ اللَّهُ عَلَى فَلَانٍ ، ويقولها
حملة العرش ، ويقولها من دونهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ، ثم
يهبط - أي القول بذلك - إِلَى الْأَرْضِ . »

(١) في هذه الآية إعلام الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وهي
الأعمال الخالصة له المتابعة لشرعه - بأنه سيجعل لهم وُدًّا ، أي حبًّا ثابتًا =

وروى مسلم - والبخاري والترمذي باختصار - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ثم ، توضع له البغضاء في الأرض » .

= ممكناً في قلوب أهل الملائكة والسموات والأرض ، وذلك أنه لما أحبوه وأطاعوه أحبهم ، فلما أحبهم حببهم إلى عباده المؤمنين . وقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع » ، وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله ، أنه قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادةً أذكر بها ، فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج منه ، فكان لا يعظم - أي عند الناس - فكث بذلك سبعة أشهر ، فكان لا يمر على قوم إلا قالوا : انظروا إلى هذا المرائي ، فأقبل على نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشراً ، لأجعلن عملي كله لله عز وجل - أي خالصاً - فلم يزد على أن قلبه فيته ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ، فكان يمر بعدد بالقوم فيقولون : رحم الله فلاناً الآن وتلا الحسن البصري قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ .

وروى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
 « إن المِقة - أي المحبة - من الله تعالى ، والصَّيت من السماء ، فإذا
 أحبَّ الله عبداً قال لجبريل : إني أحب فلاناً .. » الحديث .

المُرُّ الأعلى - النَّرِيُّ الأعلى - الرقيق الأعلى

ثم أشرف الملائكة ومقرَّبوهم . قال الله تعالى : ﴿ قل هو نَبَأٌ عَظِيمٌ
 أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ . مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ .
 إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

والمقصد في هذه الآيات إقامة الحجة القاطعة على حقيقة نبوة سيدنا
 محمد ﷺ لأنه ﷺ جاء يخبر بأمور لم يكن قبل ذلك يعلمها حتى أنزل
 الله تعالى الوحي فأعلمه بذلك .

فقال سبحانه : ﴿ قل ﴾ يا محمد محتجاً على المنكرين لنبوتك ﴿ هو ﴾
 أي القرآن أو النبوة وكلاهما متلازمان ومستلزمان لبعضهما ﴿ نَبَأٌ عَظِيمٌ
 أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ لتماذي غفلتكم وعدم تفكيركم ، فإن العاقل لا يعرض
 عن مثل هذا النبأ العظيم والأمر القويم ، بل شأن العاقل أن يفكر
 فيه ويعتبر ، فإن ذلك يجعله على أن يؤمن بنبوة سيدنا محمد ﷺ
 والقرآن الذي جاءه ، وأنه حقاً رسول الله ، وأن هذا القرآن حقاً هو

كلام الله تعالى ، ولايحتمل غير ذلك ، لأنه ﴿ ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون ﴾ .

يعني أنه ﷺ قبل أن ينباه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصاص الملا الأعلى ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم ، وقضية اعتبارات أعمال بني آدم : من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها وإعطائها استحقاقاتها ، فهو ﷺ لم يكن عنده علم بجميع ذلك قبل أن ينبأ وينزل القرآن عليه ، لأنه كان أمياً ﷺ ، فلم يقرأ الكتب الماضية ولم يسمعها من أهلها ، فمن أين جاء بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم باختصاص الملا الأعلى ؟ إذاً حقاً إنه رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إليه وعلمه ذلك كله .

روى أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :
احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فتوَّب بالصلاة ، فصلَّى وتجوَّز - أي أسرع - في صلاته فلما سلم ﷺ قال : « كما أنتم على مصافكم »
- أي لا تفارقوا مكانكم - ثم أقبل إلينا فقال : « إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قتُّ من الليل فصليتُ ما قدَّر لي فنعستُ في صلاتي

حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة^(١) ، فقال :
يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب فأعادها
ثلاثاً . فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين يدي^(٢) ،
فتجلست لي كل شيء ، وعرفت - وفي رواية الترمذي : فعلت ما
في السموات وما في الأرض - فقال : يا محمد فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟^(٣)
قلت : في الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت :
نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ،
وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ . قلت : إطعام
الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام^(٤) . ثم قال : سئل . قلت :

- (١) قال ابن الأثير في جامع الأصول : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ،
وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا
وكذا ، لهيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا ، لصفته ، فيكون المراد بما جاء
في الحديث : إنه أتاه في أحسن صفته ، ويجوز المعنى إلى النبي ﷺ أي أتاني
ربي وأنا في أحسن صورة اه قال عبد الله : وما يؤيد أن الصورة قد يراد
بها الصفة قوله ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ زَمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ » أي على صفته في النور والاضاءة ، وليس المراد هيئته المستديرة .
- (٢) في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها انكشافات ومشاهدات وعلوم
وإطلاعات ، فسبحان من تنزه عن الكليات والكيفيات ! .
- (٣) قال ابن الأثير : الملائكة هم أشرف الناس وسادتهم وأراد هنا بالملائكة الأعلى الملائكة
المقرين اه .

(٤) فاختصام الملائكة الأعلى هو التقاؤل الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات =

اللهم إني أسالك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين
وأن تغفر لي وترحمي ، وإذا أردت فتنةً في قوم فتوقني غير مفتون ،
وأسالك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك .
وقال ﷺ : إنها حق فادرسوها وتعلموها^(٢) .

الندي الأعلى^(٣)

ويقال للملأ الأعلى: الندي الأعلى ، وذلك باعتبار اجتماعهم في مجتمعٍ عالي
الرتبة ، رفيع المكانة ، للتباحث في تدابير الأمور باذنه تعالى ، وللنظر في
مُخَوِّلات أعمال المؤمنين واستحقاقاتها، وغير ذلك مما يتعلق بالأحوال العامة.

من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها
ومقتضياتها وأيّها أحب إلى الله تعالى ، وأيّها أعظم درجة وأكثر ثواباً ،
وفي الكفارات ومقدارها تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم
التقاول في ذلك ثم يرفع الأمر إلى ربّ العزة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين
فيحكم حكمه في ذلك ولا معقب لحكمه جلّ وعلا .

(٢) ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ، وروي النسائي بعضه
والحاكم وقال على شرطها .

(٣) ذكر في النهاية أن الندي بالتشديد النادي وهو : مجتمع القوم ، وأهل المجلس فيقع
على المجلس وأهله ، والمراد بالندي الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

قال تعالى : ﴿ فَاَلْمَدَبَرَاتِ أَمْرًا ﴾ .

روى أبو داود عن أبي الأزهر الأنباري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله ، وضعتُ جنبي لله ، اللهم اغفر لي ذنبي ، واخسأ شيطاني ^(١) ، وفكَّ رهاني ^(٢) ، واجعلني في الندي الأعلى » ورواه الحاكم بزيادة « وثقل ميزاني ^(٣) » .

الرفيق الأعلى

ويسمى الملا الأعلى : الرفيق الأعلى لما روى الشيخان - واللفظ للبخاري في الدعاء - عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح ^(٤) : « لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر » فلما نزل به ، ورأيتُه على نخدي غشي عليه ﷺ ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم

(١) أي اجعله خاسئاً مطروداً ، يقال خسأت الكلب : طرده .

(٢) أي خلصني من عقاب ما اقترفت من الأعمال التي لا ترتضيها ، وذلك بالعمو عنها والرهان هو الرهن ، وهو ما يجعل وثيقة في الدين ، والمراد هنا النفس لأنها مرهونة بعملها قال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وهذا تعليم لأتباعه ﷺ أن يدعوا عند النوم بهذا الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة ولأنه سبب في عروج روح النائم إلى الندي الأعلى ، كل على حسب مقامه . وصلى الله على معلم الناس الخير وسلم .

(٣) أي بالأعمال الصالحة . (٤) أي قبل أن يمرض مرض الوفاة ﷺ .

الرفيق الأعلى » وفي رواية للبخاري عن عائشة سمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة يقول ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ الآية . وفي رواية أحمد : « اللهم مع الرفيق الأعلى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، إلى قوله : رفيقاً » وعند النسائي وابن حبان في صحيحه فقال : « أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت إذا لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى » (١) .

(١) نقل السهيلي عن الواقدي أن أول كلمة تكلم بها ﷺ وهو مسترضع عند حليلة : « الله أكبر » وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة « في الرفيق الأعلى » وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به ﷺ : « جلال ربي الرفيع » . اه نعم ، هذا مع ربه ، وأما آخر ما تكلم به من وصاياه لأُمَّته : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

الكروبيّون

قال الله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ .

الكروبيّون بتخفيف الراء . قال في القاموس : هم سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم المقربون ، من : كَرَبَ إذا قَرَّبَ اهـ وقال في النهاية : وفي حديث أبي العالية « الكروبيّون سادة الملائكة » وهم المقربون اهـ .

وفي شرح المواهب نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنه سئل ابن دحية : هل يعرف الكروبيّون لغة أم لا ؟ فقال : الكروبيّون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون ، من : كَرَبَ إذا قَرَّبَ ، أنشد أبو علي البغدادي : كروبية منهم ركوع وسجّد ، وقال العلامة الطيبي عن بعض العلماء : في هذه اللفظة : « الكروبيين » ثلاث مبالغات أحدها : أن كَرَبَ أبلغ من قَرَبَ ، وضع موضع كاد . والثانية : أنه على وزن فعول وهو للمبالغة . والثالثة : زيادة الياء وهي تَراد للمبالغة كأحمريّ اهـ .

فهذا يدل على أن الكروبيين هم المقربون من الملائكة عليهم السلام بالقرب الخاص المشار إليهم في قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴿ وإنا ذكر عيسى عليه السلام في سياق الملائكة المقربين ، لأنه من المقربين بالقرب الخاص أيضاً قال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ فما أشرف المقربين عند رب العالمين ! وإن أقرب المقربين هو الحبيب الأكرم والسيد الأنعم سيدنا محمد ﷺ صاحب مقام قرب الوسيلة وقلب الفضيلة .

المهتّمون

هم الأرواح المهتمة في جلال الله تعالى ، لا يشعر أحد منهم بغيره ، بل ولا بنفسه ، لأنهم هائمون بربهم لا يعلمون غيره وليس لهم وجهة لسواه أصلاً ، وذلك لأنه تجلّى عليهم فهِمّهم به عن كل شيء ، وهؤلاء يسمّون عند العارفين بـ « العالين » أي الذين لم يتناولهم الأمر بالسجود لآدم ، لأنهم لا علم لهم بآدم عليه السلام ولا بغيره . قال تعالى إنكاراً على إبليس لما تخلف عن السجود لآدم : ﴿ قال مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ ! أستكبرت أم كنت من العالين ؟ ﴾ . ولما كانوا مهتّمين بربهم عن أنفسهم كلياً ، كانت عبادتهم لربهم بالذات لا بالأمر ، كما ذكره الشيخ الأكبر رضي الله عنه في مواضع من الفتوحات ، وذلك لأن الأمر التعبدية يتطلب مأموراً له شعور بنفسه ، وهؤلاء قد أخذوا عن أنفسهم وهيموا بربهم تبارك وتعالى .

مقام من عنده

قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ .

وهذا مقام شريف ومنصب منيف ، مدح الله تعالى أهله وأئني عليهم ، وهذا المقام يشمل الملائكة الأعلى وغيرهم .
وفي هذا المقام يذكر الله تعالى أهل القرآن والذاكرين الله تعالى كلاً حسب رتبته . قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾ .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده . . » الحديث

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لأهل ذكر الله تعالى أربعاً : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحفّ بهم الملائكة ، ويذكرهم الرب فيمن عنده . »

وقد بين النبي ﷺ أنواع ذكر العبد لربه ، وما يقابل ذلك من الله تعالى لعبده ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ^(١) ، وأنا معه حين يذكرني ^(٢) » - وفي رواية : إذا ذكرني - فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني عشي أتته هرولة ^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال تعالى يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتني خالياً ، وإذا ذكرتني في ملأ

(١) أي فليظن العبد بربه خيراً فإن الله تعالى عند ظنه .

(٢) فليراقب الذاكر معية الله له حين يذكر بربه ، وليعطاها حكمها من الهيبة والخشية ، فإنها معية خاصة حين الذكر ، غير المعية العامة لجميع أكران العبد وأحواله المنبئة عليها بقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ الآية ، فإنها لها أحكامها أيضاً من المحاسبة والمراقبة ونحوهما .

(٣) وهذه كنايةات عن مضاعفات تقرب الرب من عبده أضعاف تقرب العبد من ربه ، فضلاً منه ونعمة وكرماً منه سبحانه ومِنَّةً ، وفي هذا تنشيط للمتقربين أن يزيدوا في التقرب ليزيدوا في القرب . والتقرب إلى الله تعالى إنما هو بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ، كما في الحديث القدسي . « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ، وفي معنى الحديث الثابت عنه ﷺ قال : « وما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل كلامه » الحديث .

ذكرتك في ملائخه من الذين تذكرني فيهم وأكثر» (١).

ذكر الله تعالى لعباده : ذلك هو مدحه تعالى لهم وثناؤه عليهم في مقام مَنّْ عنده بين الملائكة الكرام والأرواح العظام ، وفي ذلك مباحاته تعالى للملائكة ، وتنويهه سبحانه بذكر أحبابه وذاكريه ، وتسجيل ذلك عنده وإعلان هذا الثناء فيمن عنده .

قال الله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ (٢). إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٣) وإناهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . واذكر إسماعيل وإلياس الكفل ، وكل من الأخيار . هذا ذكرٌ ، وإن للمتقين لحسن مآب ﴿

ومعنى « هذا ذكرٌ » أي هذا ذكرنا بالمدح والثناء والتفضيل والعطاء لأصفائنا ومقربينا ، فيه شرفهم وإعلان فضلهم ، وإعلام برفعة قدرهم وعلو منزلتهم عند ربهم سبحانه .

فَزَرَّةَ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلامٌ عليكم طبتم (١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا والبخاري .

(٢) أي أولي القوة في عبادة الله تعالى وطاعة أوامره ، والأبصار أي البصائر في فهم دين الله تعالى وتلقي العلوم الإلهية والمعارف الربانية .

(٣) والمعنى إنا بفضلنا أخلصناهم أي جعلناهم خالصين مخلصين لنا في جميع أمورهم

فادخلوها خالدين ﴿١﴾ .

الخزنة جمع خازن ، مثل حفظة جمع حافظ ، وهو المؤمن على الشيء قد استحفظه؛ فعلى كل بابٍ من أبواب الجنة الثمانية خزنة وكتّلوا بذلك، يستقبلون المؤمنين حين دخولهم ، ويرحبون بقدومهم ويكرمونهم بالتحيات والاحترامات .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان ، ومن كان أهل الصدقة دُعي من

= وأحوالهم بسبب خصلة أصلناها فيهم خالصة من كل الشوائب، وهي ذكرا الم دار التي فيها نعيم الرؤية وكريم الجوار ، وما هنالك من كل ما تشتهي أنفس الصالحين وتختار ، فإن تلك الدار هي في الحقيقة الدار ، وما قبلها تقليباً وأسفار ولكن الألباء والعقلاء يبحثون عن الجار قبل الدار ، قال تعالى في مدح السيدة آسية عليها السلام : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ﴾ ، فطلبت الجوار وهو العندية قبل الدار وهو البيت . فافهم ذلك ، ألحقنا الله بأولئك .

(١) في هذا تنبيه الى وجه المناسبة بينهم وبين الجنة الطيبة ، ووجه استعدادهم اليها ، وذلك أنهم طابوا قلوباً بالايان والمعرفة بالله تعالى ومحبه ، لما ثبتت الكلمة الطيبة في قلوبهم - وهي لا اله الا الله - ثبوت الشجرة في الأرض ثم امتدت شعبها وأينعت ثمراتها قال تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ الآية . وطابت أقوالهم

باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمتي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلتها ؟ فقال ﷺ : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » . ورئيس أولئك الخزنة هو رضوان ، وقد أمره الله تعالى أن لا يفتح أبواب الجنة لأحد قبل سيدنا محمد ﷺ الذي هو فاتحة الخيرات كلها ، والذي هو إمام الأولين والآخرين وأكرمهم على رب العالمين فحق له أن يتقدمهم إماماً وفاتحاً لمن وراءه أبواب الجنة .

روى مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من ؟ فأقول : محمد . فيقول - الخازن - بك أمرت - أي أمرني الله تعالى - أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وسمي رئيس الخزنة « رضواناً » ليكون لأهل الجنة عنواناً ، فهو مشتق من الرضا ، لأن أهل الجنة رضي الله عنهم ورضوا عنه قال تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه ﴾ .

= بالكلم الطيب قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ وطابت أجسامهم بالأعمال الطيبة الصالحة ، وطابت نفوسهم من خبث الهوى ودنس الشهوات المحرمة . وفي هذا تنبيه لمن أراد أن يطيب من كل الاعتبارات والحشيات ، فعليه أن يلتزم شريعة الله تعالى النازلة على رسول الله ﷺ .

وفي اسم رضوان عنوان البشائر لأهل الجنة ، بأنهم سيُعطون ويتخفون بالإكرام والإفضال والإِنعام ، بحيث يرضون بذلك وتقرّ أعينهم . قال الله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَآ رِضْوَانِهِ ، وَإِنْ اللَّهُ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَالْنَا لَنْرَضِيَ يَا رَبَّنَا وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ! فَيَقُولُ : أَهْلَ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » .

فلقد أعطاهم حتى أَرْضاهم ، ثم تجلّى عليهم برضوانه الأكبر فأحلّه عليهم ، وهذا أحبُّ ما يكون إليهم . اللهم اجعلنا منهم .

فإِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ قُصُورَهُمْ وَنَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ ، تَوَافَدَتْ عَلَيْهِمْ وَفُودُ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَحْيَوْنَهُمْ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِمْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ ^(١) مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ

(١) وقد فسر ابن عباس ومجاهد وغيرهما مَنْ صَلَحَ : « بَنٍ آمَنَ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ جَبْرِ : يَدْخُلُ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَيْنَ أُمِّي ، أَيْنَ وَلَدِي ، أَيْنَ زَوْجِي ؟ فَيَقَالُ : لَمْ يَعْمَلُوا مِثْلَ عَمَلِكَ ، فَيَقُولُ : كُنْتُ أَعْمَلُ لِي وَلَهُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّسْبَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ كَمَا تَقْدُمُ .

عقبى الدار ﴿١﴾ .

ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : إن المؤمن ليكون متكئاً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِمَاطَان - أي صفَّان - من خَدَمٍ ، وعند طرف السماطين باب مَبُوبٌ ، فيقبل الملك - من الملائكة الوافدين - فيستأذن فيقول - أي الخادم للذي يليه - : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا له ، فيقول أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيسلم ثم ينصرف ﴿٢﴾ .

(١) حيَّوهم بالسلام وأثنوا عليهم بصبرهم ، ويدخل فيه أنواع الصبر كلها : صبرهم على عبادة الله تعالى واخضاع نفوسهم واطمئنانها إليها ، قال تعالى ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ وقال في الصلاة ﴿ واصطبر عليها ﴾ ، وصبرهم عن المعاصي والمخالفات ، وصبرهم على ما أصابهم قال تعالى ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ الآية ، ثم مدحهم بحسن عاقبة الدار فقالوا لهم : ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ أي فنعم عقبى عقبى الدار وهي الجنة التي وعدهم الله تعالى في الآية قبلها فقال : ﴿ أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن ﴾ الآية . ويدخل في هذا حسن عاقبة دينهم أيضاً ، ولذا قال البيضاوي وغيره في تفسير ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ : عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة اه ومن دعائه ﷺ اللهم حسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، آمين .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المبارك بأسانيد متعددة ، وله شواهد من المرفوعات رواها الامام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه عن ابن عمرو . انظر المسند وتفسير ابن كثير والدر الثور وغير ذلك .

ضَرْزَنَةُ النَّارِ

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا : بَلَىٰ ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا أَيَّ أَصْنَافًا حَسَبَ نَوْعِيَةِ كُفْرِهِمْ وَنِسْبَةِ ضَلَالَتِهِمْ ، فَنَاسِبَةُ الضَّلَالِ بَيْنَهُمْ وَمِثَابَةُ الطُّغْيَانِ هِيَ الَّتِي جُمِعَتْ بَيْنَهُمْ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ حِينَ وَصُولِهِمْ جَهَنَّمَ يُفَاجِئُونَ بِفَتْحِ أَبْوَابِهَا وَمَنْظَرِهَا الْفَظِيعِ مَبَاغِتَةً لَهُمْ ، وَذَلِكَ أَشَدُّ فِي الْعَذَابِ وَأَعْظَمُ فِي الْخِزْيِ لَهُمْ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا - الزَّبَانِيَةُ الْغَلَاظُ الشَّدَادِ - عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّأْنِيبِ بَدَلَ التَّكْرِيمِ وَالتَّرْحِيبِ :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ أَيَّ مَنْ جَنْسِكُمْ وَنَوْعِكُمْ الْبَشَرِيِّ بِحَيْثُ يُخَاطَبُونَكُمْ وَيُنصَحُونَكُمْ وَيُبَيِّنُونَ لَكُمْ أَسَالِيبَ الْهُدَىٰ وَطُرُقَ الرِّشَادِ وَالسَّدَادِ ، وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ أَعْمَالَهُمْ وَتَسْمَعُونَ أَقْوَالَهُمْ ، وَبِمَعْنَاكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا عَنْهُمْ وَتَفْهَمُوا مِنْهُمْ ؟ ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ أَيَّ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ

آيات الله التدوينية ، المشتملة على الحجج اليقينية ، ويستعرضون لكم آياته التكوينية ، وما فيها من البراهين القطعية ، وكلها تشهد بحقية مادعوكم إليه .

﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي يحذرونكم عذاب هذا اليوم وحسابه ﴿ قالوا بلى ﴾ أي قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج وأوضحوا لنا الأدلة ، بحيث يلزم السامع أن يتقبله ، والعاقل أن يتعقله . أي ولكنهم أعرضوا عن ذلك جحوداً وكبراً ، وطغياناً وكفراً ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ . وهنا ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي لأنهم كفروا وأعرضوا عن قبول الحق ، وكذبوا به ، واتبعوا أهواءهم الباطلة .

ويسمى رئيس خزنة النار « مالكاً » قال تعالى ﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك . قال : إنكم ماكثون ﴾ .

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في حديثه عن الاسراء واجتماعه بالأنبياء قال : « فحانت الصلاة ، فأمتهم - أي صرت لهم إماماً - فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديثه عما رآه في منامه : « قال فانطلقنا ، فأتيننا على رجل كره المرأة كأكره ما أنت راء ، فإذا عنده نار يحششها ويسعى حولها » ثم قيل له ﷺ : « وأما الرجل الكره المرأة الذي عند النار يحششها ويسعى حولها فإنه مالك خازن النار .. » الحديث .

صفات خزنة النار :

قال الله تعالى : ﴿ يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ^(١) نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَازٌ شِدَادٌ ، لَا يَمْسُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

والمعنى أن خزنة النار الموكلين بتعذيب من يدخلها هم غلاظ الأقوال شِدَاد الأفعال ، كما أنهم غلاظ الخلق شِدَاد الخلق .

روى عبد الله بن أحمد في زوائد كتاب الزهد عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ، مابين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف - أي سنة - ليس في قلوبهم رحمة ، إنما خلقوا للعذاب ، يضرب

(١) في هذه الآية يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، وذلك بحمل النفس على امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب ما نهى عنه ، وحمل الأهل - الزوجة والأولاد - على ذلك أيضاً بالتعليم والتأديب تارة ، والتأنيب تارة ، فإن الانسان مسئول عن نفسه وعن رعيته كما قال ﷺ « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

الملك منهم الرجلَ من أهل النار فيتركة طِحْنًا من لدن قرنه إلى قدمه .
 ويقال لخزنة النار « الزبانية » قال الله تعالى : ﴿ فليدعُ ناديه
 سندع الزبانية ^(١) ﴾ . وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم الشديد وطرحهم
 الحديد ، لكلِّ جبار عنيد وشیطان مريد . وقد أنزل الله تعالى هذه
 الآيات في أبي جهل حين توعدَّ رسول الله ﷺ وهمَّ بإيذائه .

روى الترمذی وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول
 الله ﷺ يصلي عند المقام ، فرَّ به أبو جهل فقال : يا محمد أَلَمْ أَنْهَكَ
 عن هذا ؟ وتوعدَّه ، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال أبو
 جهل : يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي
 نادياً ! فأنزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديه . سندع الزبانية ﴾ . قال ابن
 عباس : لو دما ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل :
 هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ - أي بأن يسجد على الأرض -
 قالوا : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأنَّ

(١) اختلف في هذا الجمع فقيل لا واحد له من لفظه ، وقال أبو عبيدة : واحده
 زِبْنِيَّة بكسر فسكون على وزن عِفْرِيَّة ، وقال الكسائي : واحده زِبْنِيَّة
 بالكسر ، منسوب إلى الزَبْن بالفتح ، وهو الدفع بشدة ، ثم غير النسب
 وكسر أوله كاء نسي ، وأصل الجمع زِبَانِيَّة ، حذف إحدى ياءيه وعوض عنها التاء ،
 وقيل : واحده زابن ، أي شديد البطش .

على رقبتة ، ولا عُفْرَنَ وجهه في التراب ، فأَتَى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبتة ، فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه^(١) ، فقل له: مالك ؟ فقال أبوجهل : إن بني وبينه - أي بين محمد - خندقاً من نار وهو لا وأجنحةً ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » وأنزل الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْخَىٰ . أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْخَىٰ ۚ ۖ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ .

وقال تعالى : ﴿ وما أدراك ما سقر؟ . لا تبقي ولا تذر . لواحة للبشر عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ﴾ الآية .

فهو يخبر سبحانه عن خزنة النار أنهم ملائكة أقوياء أشداء ، لا يقاومون ولا يغالبون ، وأن عليها تسعة عشر ، فالجهنم من أولي العلم على أن هؤلاء التسعة عشر هم النقباء الموكلون عليها المتولون أمرها ، وإليهم مرجع زبائنها وسائر خزنتها ، وليس هذا العدد حاصراً لجميع الملائكة الموكلين بجهنم وتعذيب داخلها من الكفار والعصاة ، فقد روى مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

(١) صار يرجع القهقري ويضع يديه على وجهه من الخوف الذي اعتراه ، والهول الذي أصابه مما رآه وعائنه .

« يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

وزهب كثير من العلماء إلى أن تميز العدد (تسعة عشر) المحذوف هو : صنف ، أو صف ، أو ألف ، وأن التقدير : عليها تسعة عشر صفًا من الملائكة ، أو صنفًا ، أو ألفًا .

أصناف الملائكة عليهم السلام

الملائكة عليهم السلام أصناف مصنفة ، وكل صنف منهم وكله الله تعالى بوظائف يقوم بها بأذن الله تعالى ، حسب ما هو سبحانه يأمر بذلك ويطلعهم على علم ذلك ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ قالوا سبحانه لا عِلم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ .

فمنهم الموكِّلون بقضايا الإنسان التكوينية : تطوير النطفة في الأرحام ، ثم تصويرها ، ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم المعقبات الحفظة ، ومنهم الكرام الكاتبون ، ومنهم ملائكة الهمم ، ومنهم ملائكة الوحي إلى الأنبياء والرسل ، ومنهم الموكِّلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها ،

ومنهم الموكّلون برفع الأعمال الصالحة إلى رب العزّة ، ومنهم الموكّلون بقبض الأرواح ، ومنهم الموكّلون بسؤال القبر ، ومنهم الموكّلون ببشائر المؤمنين في كل عالم انتقلوا إليه .

ومنهم الموكّلون بالتدابير الكونية باذن الله تعالى وأمره ، تنفيذاً لمقتضى تديره ، وذلك أن جميع تدابير العوالم كلها العلوية والسفلية والشهودية والفيضية ، كل ذلك بتدبير الله تعالى العليم الحكيم المدبر الذي له التدبير الذاتي المطلق ، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ ؟ ﴾ فسيقولون الله .. ﴿ الْآيَةُ ﴾ . وقد جعل سبحانه باذنه وإرادته وسائط من الملائكة ووَكَل إلى كل طائفة منهم أعمالاً : فمنهم الموكّل بالشمس أو بالقمر أو بالنجوم ؟ ومنهم الموكّل بالجبال ، ومنهم الموكّل بالسحب والأمطار ، ومنهم الموكّل بالبحار ، ومنهم الموكّل بالنبات والأشجار ، إلى غير ذلك مما يعجز الإنسان عن إحصائه .

وقد ذكر الله تعالى أصنافاً من الملائكة عليهم السلام في مواضع متعددة من القرآن الكريم حسب المناسبات ، كما أوضحت ذلك الأحاديث النبوية أيضاً وفصّلت وظائفهم ومواقفهم تفصيلاً بيّناً .

قال الله تعالى ﴿ وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا . وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا . وَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا . فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا ﴾ .

فهو يقسم سبحانه بالملائكة القائمين بتنفيذ هذه الأفعال عن أمر الله تعالى وإذنه . فالنازعات هي الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم بقوة وشدة ، والناشطات هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين - أي تخرجها من أجسادها - بسهولة وسرعة ، كنشط الدلو من من البئر ، والسابحات هي الملائكة تسبح في الفضاء تقطع المسافات الشاسعة ماضية إلى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به ، كما تسبح الطير في الهواء ، والسابقات هي الملائكة تسبق مسرعةً إلى ما أمرت به دون ببطء ولا تأخر ، فالمدبّرات أمراً هي الملائكة تدبّر أمور الخلائق ، كما أمرهم الله تعالى وكما أذن لهم بذلك .

وقال تعالى : ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ وهي الملائكة تقسم الأمور بين الخلق ، كما أمرهم به الملك الحقّ جلّ وعزّ .

وقال تعالى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عِرفًا﴾^(١) . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشرًا . فالفارقات فرقًا . فالملقيات ذِكْرًا . عُدْرًا أو نُذْرًا ﴿ .

(١) أي والمرسلات للعرف والاحسان ، فهو مفعول له ، أو المراد والمرسلات حال كونها عرفاً أي متتابعةً يقال جاءوا عرفاً واحداً : إذا جاءوا يتبع بعضهم بعضاً دون تراخٍ بينهم ، وفي هذا ضرب من التشبيه ، كما هو مفصل في موضعه .

ذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أن هذه أقسام إلهية بطوائف من الملائكة عليهم السلام ، وذلك أنه سبحانه أقسم بالمرسلات أي طوائف من الملائكة المرسلات بأمر الله تعالى ، فعصفت في المضي كما تعصف الرياح مسرعة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى ، والناشرات هي طوائف من الملائكة نشرت أجنحتها في الجور^(١) فتنزل بأوامر الله تعالى على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين ، فتفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام . فالملقيات ذكرراً هي الملائكة تلقي الذكر على الأنبياء والرسل ورؤسهم هو جبريل عليه السلام وفي ذلك إعداء وإنذار ..

(١) وقيل المراد بالناشرات الملائكة تنشر أعمال العباد يوم القيامة .

مرافق الملائكة عليهم السلام مع الانسان

بالنسبة لأُمُورهِ التكوينية او الدبئية

فَهم الملائكة الموكِّلون بتطوير النطفة وتصوير ما في الأرحام

ونفخ الروح في ذلك :

روى مسلم في صحيحه عن عامر بن وائلة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : الشقيُّ من شقيَّ في بطن أمه، والسعيد من وُعظ بغيره . فأُتِيَ عامر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بقول ابن مسعود رضي الله عنه فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلةً بعثَ الله إليها ملكاً فصورَّها ، وخلق (١) - أي قدَّر - سمعها

(١) وهذا الخلق التقديري يُظهر ما جاء في عيسى عليه السلام : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيها فتكون طيراً باذن الله ﴾ فكان عيسى عليه السلام يخلق - أي يقدر - كهيئة الطير ثم ينفخ في تلك الصورة والهيئة المقدرة فتصير طيراً باذن الله تعالى . فهذا خلق بمعنى التقدير والتصوير ، لا بمعنى الابداع من العدم ، فانه لا خالق - أي لا موجد - إلا الله تعالى . قال سبحانه ﴿ هل من خالق غير الله ؟ ﴾ وقال : ﴿ أروني ماذا خلق الذين من دونه ! ﴾ .

وبصرها وجلدها وعظامها ، ثم قال : ياربِ اذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربِ ! أجله ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربِ ! أرزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ذلك شيئاً ولا ينقص .»

الملك ينفخ الروح في الجنين ويكتب ما أمر به

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال :
« إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نظفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ^(١)

(١) أي الذي كتب عند مضي الأربعينات الثلاثة عليه في الرحم ، كما تقدم في الحديث ، وقد يشكك هذا مع حديث حذيفة السابق ، فانه يدل على أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية ، والتعارض مدفوع بوجوه :
أولاً : إن الكتابة متعددة ، فالكتابة بمد تمام الأربعين الأولى هي من قبيل =

فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وهذه الكتابة هي إحدى مراتب كتابة المقادير ، وذلك أن كتابة المقادير المشتمة على جميع الأعمال والأقوال وجميع الشؤون والأحوال والحركات والسكنات وما هنالك من كليّاتٍ وجزئياتٍ - كتابة ذلك على أنواعٍ مرتبةٍ :

الأولى : كتابة القلم جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال الله

= الملك الموكّل بالنطفة : تطویرها وتصويرها وما هنالك ، وأما الكتابة بعد الأربعين الثالثة فهي من قبل الملك الذي يرسله الله تعالى حينئذ لينفخ الروح في الجنين ، ويأمره بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . ولكل من الكتابين حكم وأحكام صادرة عن أمر الحكيم العلّام .

ثانياً : إن أولى الكتابين في السماء ، والأخرى في الأرحام .

ثالثاً : قال بعض العلماء : إن الكتابة تكون بعد تمام الأربعين الأولى ، كما دلّ عليه حديث حذيفة ، وإنما أخّر ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة - أي بعد الأربعين الثالثة - لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة المتتابعة التي يتقلّب فيها الجنين ، وهي : كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ، فإن ذكر هذه الثلاثة على نسقٍ واحد أعجب وأبعد . والوجه الأول هو الأظهر ، والله تعالى أعلم .

تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ فدلَّت الآية على أن هناك كتابةً جامعة ، وهي سابقة على وجود البرية وخلق الخليقة .

وروى الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أوَّلَ ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة - وفي رواية الترمذي : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة - ثم قال عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

الثانية : كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض .
 روى مسلم في صحيحه عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء » . أي والحال أن العرش موجود على الماء . وربما أدرج بعضهم هذه المرتبة في التي قبلها ، ولكن عند التدبر يظهر الفرق لأهل التبصر ، وذلك

باعتبار أن أوّل ما خلق الله تعالى هو القلم ، فأمره أن يجري بكتابة ما سيكون إلى يوم القيامة .

الثالثة : كتابة المقادير بعد خلق السموات والأرض . روى البخاري والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ في المسجد إذ دخل عليه ناس من بني تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم »^(١) قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه النبي ﷺ - أي غضب - ثم دخل ناس من أهل اليمن : فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ - أي هذا العالم هل هو قديم لا أوّل له أم هو مخلوق بعد العدم - فقال رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء » .

(١) قال العلامة الطيبي : إنه ﷺ أراد بقوله « اقبلوا البشرى » أي اقبلوا البشرى مني ما يقتضي أن تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به، ولما لم يكن جلّ اهتمامهم إلا شأن الدنيا والاستمطاء دون دينهم - أي دون أن يهتموا بأمر دينهم - قالوا : بشرتنا لتفقه وإنما جئنا للاستمطاء فأعطنا، ومن ثمّ قال ﷺ « إذ لم يقبلها بنو تميم » اه كما في المرقاة .

قال عمران : ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدرك نأقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها ، وإيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم . أي ليسمع بقية حديث رسول الله مع أهل اليمن .

والكينونة في قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » هي كينونة قديمة أزلية بخلاف كينونة العرش على الماء ، فإنها حادثة ، فإن قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » . وفي رواية للبخاري أيضاً « كان الله ولم يكن شيء غيره » . وفي رواية لغير البخاري « كان الله ولم يكن شيء معه » : نصٌ قاطع على أنه لم يكن شيء غيره تعالى في القدم الأزلي أصلاً ، لاماء ولا عرش ولا غيرها .

الرابعة : كتابة قبل أن يُخلق آدم بأربعين سنة ، كما ورد في الصحيحين والسنن - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « حاج موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم ، قال : قال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني ؟ - أو قدره عليّ قبل أن يخلقني ؟ - وفي رواية مسلم : أتومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدم موسى ^(١) .

(١) وقد تنوعت مسالك أولي العلم في بيان وجه غلبة آدم لموسى عليها السلام في الحجة ، وبسطت تلك الأجوبة في شروح الحديث والتفاسير ، وليس هذا موضع تفصيلها لطولها . فمن ذلك ما نقله الحافظ في « الفتح » عن القرطبي حيث قال : إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تعالى تاب عليه ، فكان لومه على ذلك - أي بمد توبته - نوع جفاء ، كما يقال : ذكر الجفاء بمد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بمد الصفح ينمحي ، حتى كأنه لم يكن ، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذٍ محلاً له كلام القرطبي ، ثم قال الحافظ : وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المتمداه

ومن تلك المسالك أيضاً أن التائب لا يلام على ما تيب عليه منه ، ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف . وقد نقل هذا الجواب عن كثير من أئمة العلم كما في « الفتح » .

وعلى كل فليس في الحديث ما يدل على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المخالفات والاستمرار على المعاصي ، فإن ذلك لا يجوز أصلاً ، وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا إذا دعيتهم رسولهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما هم عليه من الشرك : احتجوا بمشيئة الله تعالى لذلك ليستمروا على ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ، ولا حرماننا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ كما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم كانوا إذا دُعُوا إلى الانفاق وأداء ما أوجب الله عليهم نحو المحتاجين والفقراء سداً لحاجتهم : احتجوا بأن الله تعالى لو شاء لأطعم أولئك الجياع الفقراء . قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم =

الكتابة الخامسة : هي التي تكتب عندما يكون الجنين في الرحم فيكتب الملك رزقه وأجله وعمله وكونه شقياً أو سعيداً ، كما تقدم في الحديث .

ولكل مرتبة من هذه الكتابات حكم وأحكام ، وشأن ونظام ، لا يحيط بذلك إلا الحكيم العلام . فمن ذلك ما ذكره بعض العارفين أن الكتابة اللاحقة تختص ببعض المقادير من الكتابة السابقة ، إذ أن الكتابة السابقة هي أعم من اللاحقة وأشمل للمقادير وأجمع . ومثال ذلك أن الكتابة حين يكون الجنين في الرحم فالملك يكتب مايتعلق بشؤون الجنين الخاصة به من أعماله ورزقه وأجله وشقوته أو سعادته ، فتلك أمور خاصة بالولد من ذاك الحين إلى أن يموت ، ولا علاقة لهذه الكتابة بغيره من العالم ، بخلاف الكتابة التي هي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة ، فإنها تعم آدم وذريته وشؤوناتهم وأحوالهم وأعمالهم كلها ، والكتابة التي قبلها تعم مقادير الإنس والجن

= إلا في ضلال مبين ! ﴿ ومقصودهم بذلك إبطال دعوة الرسل وإبطال أحكام شريعة الله تعالى والتباس المآذير الباطلة لأنفسهم ، بدعوى أنهم في كفرهم وشركهم ، ومنهم ماأوجب الله عليهم - هم في ذلك ينفذون حكم مشيئة الله تعالى لكفرهم وضلالهم !

وسائر الأكوان ، والتي قبلها هي أعم وأجمع والله تعالى أعلم ^(١) .

(١) وينبغي أن يُعلم أن كتابة المقادير السابقة لاتنفي اختيار الانسان لأفعاله الاختيارية ، فإن القدر السابق وكتابة المقادير يشعلان اختيار الانسان ، بمعنى أنه سبحانه قدّر على الانسان وأمر أن يكتب عليه أن سوف يفعل كذا وكذا باختياره وإرادته ، فاختيار العبد للأعمال الاختيارية هو من جملة المقدرات والمكتوبات ، وهو ثابت شرعاً وعقلاً وذوقاً وجدانياً .

أما ثبوت الاختيار شرعاً : فإن الشارع أثبت للانسان حالة اختيار ، ورتّب المؤاخذه والمعاقبة على أفعاله ، وهو مختار لها ، كما أثبت للانسان حالة اضطرار ، ورفع عنه المؤاخذه والمعاقبة حال كونه فيها . فقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَازِرِ ، وَمَا أَهْلٌ لَّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ أي مجاعة شديدة ﴿ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ ﴾ أي غير مائل لإثم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فبين سبحانه أنه حرم تلك المحرمات في غير حالة الاضطرار اليها، أما إذا اضطرّ اليها بأن اشتد الجوع على إنسان وخاف الموت على نفسه من شدة الجوع ، وليس هناك شيء يتناوله سوى تلك المحرمات فلا إثم عليه في تناولها ، لأنه مضطر إلى ذلك .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقد نزلت هذه الآية - كما روى البيهقي وابن جرير - في عمار بن ياسر رضي الله عنها حين أخذه المشركون فعدّبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا باللسان ، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان .

وقد فصل الفقهاء أقسام الاكراه وأحكامه المرخصة والموجبة .

وأما ثبوت الاختيار عقلاً : فإن كل عاقل يفرق بين الآثار الناشئة عن حركة البشر، والآثار الناشئة عن حركة الشجر، فإن وخزةً تناله من قبل البشر تنفضه وتدفعه للانتقام ممن وخزه، لأنه يعلم يقيناً أنها صدرت عن إنسان له اختيار وإرادة لذلك . أما إذا مرَّ تحت شجرة يحرك الهواء أغصانها، فوخزته أوجدبت طرف ثوبه أو خدشته فإنها لاتنفضه ولا يندفع للانتقام من الشجرة ، لأنه يعلم يقيناً أن الشجرة لا اختيار لها في ذلك .

فلو قلنا إن الانسان لا اختيار له في أعماله الاختيارية لازم أن نعامل البشر في ذلك كالشجر .

أما ثبوت الاختيار ذوقاً وجدانياً : فإن الانسان يعلم من نفسه أن له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته ، كذهابه ومجيئه وقيامه وقعوده، ويعلم أيضاً أن له أعمالاً تصدر عنه لا باختياره ، يكون مضطراً اليها ولا يستطيع دفعها ، كالمطاس والرعدة والتثاؤب ونحو ذلك . وليس أحد من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود وتناول الطعام والشراب مع المطاس والتثاؤب !! بل يفرق بينهما بذوق نفسه ووجدانه .

فاختيار الانسان وإرادته للأمور ومشيتته لها ثابتة شرعاً وعقلاً وذوقاً ، وكل ذلك بمخلق الله تعالى وإرادته ومشيتته ، فهو سبحانه خلق للانسان اختياراً وإرادة ومشيتة . فمن صفات الانسان أنه مختار ومريد وذومشيئة، وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية في نسبة الاختيار والمشيئة والارادة للبعد .

فان قيل : يلزم من كون اختيار الانسان وإرادته ومشيتته مخلوقاً لله تعالى وأن جميع ذلك بارادة الله تعالى ومشيتته - يلزم من ذلك أن صفة

اختيار العبد ومشيتته وإرادته مالها حقيقة وجودية ، ولا أثر لها من الاعتبار وإغنا هو ضرب من التخيل والتوهم ؟ .

فالجواب عن ذلك : أن هذا اللازم باطل ، لأنه إذا كان يلزم من خلق الله تعالى لاختيار الانسان ومشيتته وإرادته وأن ذلك بمشيئة الله وإرادته - إذا كان يلزم من هذا أن لا اختيار للانسان ولا مشيئة ولا إرادة له وإغنا هي أوهام فيجب أولاً أن يجري هذا اللزوم في بقية صفات الانسان التي آتاه الله تعالى إياها ، بل يجري هذا اللزوم في أصل وجود الانسان الذي أنعم الله تعالى بإيجاده ، فان من صفات الانسان أنه سميع بصير ولكن يجعل الله تعالى وخلقه ذلك وبإسماعه سبحانه للعبد وتبصيره ، قال تعالى في الانسان : ﴿ فجعلناه سمياً بصيراً ﴾ فسمع العبد وبصره مجمولان مخلوقان بخلق الله تعالى ومشيتته ، ومع ذلك فالعبد سميع بصير حقاً ، وإلا فما الفرق بين السميع البصير وبين الأصم الأعشى !

كما وأن الانسان هو حي ناطق حقاً بإحياء الله تعالى وإنطاقه له وبمشيتته سبحانه وإرادته ، ولا يصح أن يقال إن حياته ونطقه لا وجود لها ولا اعتبار بهما لأنها بخلق الله تعالى وإرادته ومشيتته ، لا يقال ذلك لأننا نقول إذا ما الفرق بين الحي والميت ، وبين الناطق وغير الناطق ؟؟

بل إن الانسان موجود بإيجاد الله تعالى وإرادته ، ولا يلزم من ذلك أن لا وجود للانسان ، بل هو موجود حقاً وجوداً إمكانياً بإيجاد الله تعالى له وبمشيتته وإرادته ، وإلا فما الفرق بين الانسان بعد أن أوجده وبينه قبل أن يوجد حين كان معدوماً ؟

فالحق أن الانسان موجود حي ناطق سميع بصير مريد مختار إلى ما هنالك من بقية الصفات ، وكل ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيتته سبحانه . وقد جاءت التكاليف الشرعية على نسبة ما آتي الله تعالى

المؤنكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعالهم

قال الله تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بل أرسلنا لديهم يكتبون ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

الانسان من القوى الادراكية والعملية، فلم يكلفه الله تعالى فوق طاقته وفوق ما آتاه ، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وقال ﴿ ولا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ وقال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ أي إلا ما تسمه قدرتها ، لأن التكليف لا يرد إلا بفعلٍ يقدر عليه المكلف . أو المراد بوسعها : مادون مدى طاقتها بحيث يتيسر عليها لقوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ﴾ أي مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة ، كما بيّنه علماء التفسير ﴿ نبئله ﴾ أي خلقناه لنختبره بالتكاليف الشرعية : الأمر والنهي ﴿ فجعلناه سمياً بصيراً ﴾ أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية .

فلم يخلق الله تعالى الانسان عبثاً أي لعباً لا لحكمة ، كما قال سبحانه : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون !! ﴾ ولم يخلق الانسان ويتركه سدى ، قال تعالى : ﴿ أحسب الانسان أن يترك سدى ؟! ﴾ أي مهملًا ، بل خلقه وتمهّده بالتكاليف التي فيها سعادته ومصلحته في الدنيا والآخرة .

(١) والمعنى : أن الله تعالى يسمع سرهم ويسمع نجواهم وأن رسل الله - أي ملائكته - الذين هم معهم وعلى قرب منهم يكتبون عليهم سرهم ونجواهم .

الشال قعيد . ما يلفظ من قولٍ إِلَّا لديه رقيب عتيد * .

فأخبر سبحانه أن كل إنسان عليه ملكان محيطان به يتلقيان ما يصدر عنه من القول ، فما يلفظ الانسان من قول إِلَّا لديه رقيب يرقبه في أقواله ليكتبها عليه ، عتيد أي معدّ ومتهيّء كلّ التهيؤ لكتابة ما أمر به من الخير والشر .

وقال تعالى : * كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بالدين . وإنّ عليكم لحافظين . كراماً كاتبين : يعلمون ما تفعلون * .

والمعنى : ما لكم أيّها المكذبون بدين الله تعالى القويم وشرعه الحكيم الذي جاء بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ؟! فإذا أنتم تكذبون بهذا الدين ، وتحلّثون ما حرمه وتحرمون ما أحله ، والحال أنتم لستم مهملين ولا متروكين ، بل وكَلَّلنا عليكم ملائكة كراماً ، ليسوا لثاماً ، أمناء ليسوا خونة ، فأكرمّ بهم من كتبة يحفظون جميع ما يصدر عنكم ، ويسجّلون ذلك عليكم بصدق وأمانة ، وقد أطلعهم الله تعالى على أفعالكم سواء أخفيتم ذلك أم أعلنتم ، فانهم يعلمون ذلك بما علّمهم الله تعالى ، فإذا كان يوم القيامة أخرجوا تلك الكتب المسجّلة ، ونشروها لصاحبها ، ويقال له هذا الكتاب كُتِبَ في الدنيا نكتبه عليك

ونستنسخ فيه ما كنت تعمل فاقراً كتابك . قال الله تعالى : ﴿ وكلَّ
 إنساناً أئزمناه طائرهُ في عنقه ^(١) ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه
 منشوراً . اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ . وقال
 تعالى : ﴿ وإذا الصحفُ نُشرتْ ﴾ . وقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة
 يومئذٍ يخسر المبطلون . وترى كلَّ أمةٍ جاثيةً ^(٢) ، كلُّ أمةٍ تُدعى
 إلى كتابها ، اليوم تُجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم
 بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير : وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك
 كلَّ شيءٍ من الكلام - أي حتى المباح - وهو قول الحسن وقتادة ،
 أو إنما يكتب الملك ما فيه ثواب أو عقاب كما هو قول ابن عباس

(١) والمعنى أن كل إنسان أئزمناه عمله الصادر منه باختياره على حسب ماقدّر
 له خيراً كان أو شراً، كأنه طار إليه من وكرّ القدر وعالم الغيب، وأن
 عمله ملازم لعنقه ومرتبّط به ، مايفك عنه . وفي ذلك إيماء إلى أن أعمال
 الانسان الصادرة عنه منها الزائنه كالقلائد والأطواق ، ومنها الشائنه
 كالأغلال والأهواق . انظر تفسير البضاوي والنسفي وغيرهما .

(٢) أي مجتمعة إلى بعضها أو جالسة على الركب مستوفزة ، وهذه حاله تمرّ
 بهم ينتظرون فيها فصل القضاء .

(٣) أي : كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

رضي الله عنها ؟ هم في ذلك على قولين . وظاهر الآية القول الأول
لعموم قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ اه يعني
أن ظاهر قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول ﴾ يدلُّ على عموم كلِّ قولٍ ،
لأنه جاء نكرةً في سياق النفي ، وأدخلت عليه ﴿ من ﴾ استقصاءً
لكل قولٍ : الفساد والصلاح والمباح .

وأما مَنْ قال : إن المباح من الكلام لا يكتب ، فيحتج بأن
المباح لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، والكتابة هي للجزاء ، فيكون المباح
مخصوصاً من عموم الآية . وظاهر النصوص القول بالعموم حتى المباح
لأنه لا يخلو عن ملاحظةٍ قلبيةٍ صدر عنها .

وقد ذهب الامام مالك وجماعة من السلف أن الملكين يكتبان
على الانسان كل شيء حتى الأنين في المرض . رواه الخطيب وابن عساكر
عن مالك أنه بلغه : إن كلَّ شيء يكتب حتى الأنين في المرض .

قال ابن كثير : وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئنُّ في مرضه
فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك على الانسان كل شيء حتى
الأنين في المرض ، فلم يئنَّ أحمد بعدُ حتى مات رضي الله عنه .

وإنما أخبر سبحانه عباده بأن عليهم حافظين كراماً كاتبين

ليتجنبوا المنهيات والمخالفات ، ويعلموا أنهم إذا فعلوا الفواحش والمنكرات فإنها مسطرة عليهم ومسجلة في كتبهم ، وأن من اقترف ذنباً فليبادر إلى الاستغفار والتوبة فوراً .

روى الحاكم باسنادٍ صحيحه عن أم عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنبه لم يكتبه عليه ولم يعذبه الله يوم القيامة » .

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير » (١) .

اطمئنع الملائكة الطائعين على ما في قلوب بني آدم

اختلف العلماء في اطلاع الكرام الكاتبين على ما في قلوب بني آدم .

فذهب الجمهور إلى أن لهم اطلاعاً على ذلك ، بدليل ما في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى للملائكة : إذا أراد عبيدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها

(١) قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه باسناد صحيح واليهي .

عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي - أي مخافة مني - فاكتبوها له حسنة^(١)، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف . » .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها - أي أمرت الملائكة أن تكتبها - له حسنة ، فان عملها كتبها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف - وفي رواية لهما : إلى أضعاف كثيرة - وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فان عملها كتبها سيئة واحدة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قالت الملائكة : ربِّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال : ارقبوه ،

(١) وأما إذا أراد السيئة ثم لم يعملها عجزاً منه لا خوفاً من الله تعالى فهو عند الله آثم ، كما يدل عليه حديث الصحيحين : « إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ فقال ﷺ : « إنه أراد قتل صاحبه ، أي ولكنه عجز عن ذلك .

فان عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة . إنما تركها من جرّاء « أي من أجلي .

فهذه الأحاديث تدل على أن الملائكة تطلع على ما في القلوب من الهمم والإرادات وما هنالك من أعمال القلوب . وهذا الإطلاع كما ذكره العلماء إما بأعلام الله تعالى الملك بذلك وإخباره عما وقع في قلب ابن آدم ، وإما أن يخلق الله تعالى للملك علماً يدرك به ذلك . قال في الفتح : ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني قال : يُنادى الملك : اكتب لفلان كذا وكذا . فيقول : يارب إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه .

وقيل : بل يجد الملك للهمّ بالسيئة رائحةً خبيثةً ، وبالحسنة رائحةً طيبةً ، وأخرج ذلك الطبراني عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت في شرح مُغلطاي أنه ورد مرفوعاً

وذهب بعض العلماء إلى أن الكرام الكاتبين لا اطلاع لهم على أعمال القلوب . واستدلوا على ذلك بما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بصحفٍ مختمةٍ فتنصب بين يدي الله تعالى ، فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه - أي الصحيفة - واقبلوا

هذه - أي الصحيفة - فتقول الملائكة : وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيراً . فيقول الله عز وجل : إن هذا كان لغير وجهي ، وإني لأقبل إلا ما ابتغني به وجهي » ^(١) .

وجاء في رواية مرسلّة لابن المبارك : « إن الملائكة يرفعون أعمال العبد من عباد الله تعالى فيستكثرونه ويزكّونه حتى يبلغوا به حيث شاء الله تعالى من سلطانه ، فيوحى الله تعالى إليهم : إنكم حفظة عمل عبدي ، وأنا رقيب على ما في نفسه . إن عبدي هذا لم يخلص في عمله فأجملوه في سجين .. » الحديث ^(٢)

وأجاب هؤلاء عن كتابة الحسنه لمن هم بالحسنه بأن المراد بكتابتها تثبيتها عنده سبحانه .

والحق ما عليه الجمهور ، وهو أن الملائكة يكتبون الأفعال والأقوال وأعمال القلوب ، وأنه سبحانه يطلعهم على ذلك ، ولكنه قد يخفي عن الملائكة نيّة المرائين بأعمالهم ، فيكتبون ما ظهر لهم من العمل دون ما أخفي عنهم من الرياء ، ليبطل به سبحانه عمل المرائين

(١) قال الحافظ المنذري : رواه البزار والطبراني باسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح والبيهقي .

(٢) انظر الدر المنثور وروح المعاني .

بعد كتابته ، يفعل ذلك بهم فضيحة لهم وتشهيراً بهم ، وتنكيلاً
وخذلاناً لهم ، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ، كما أنهم يوم القيامة
يُردُّون إلى النار بعد تقريبهم من الجنة استهزاءً بهم .

رُوي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
«يُومر يوم القيامة بناسٍ إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ،
ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها
لأنصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مارجع الأولون - وفي رواية
والآخرون - بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا
من ثوابك ، وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا ! قال : ذاك
أردتُ بكم يا أشقياء ! كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم
الناس لقيتموهم مخبتين ، تراوون الناس بخلاف ماتعظوني من قلوبكم ،
هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجلتم الناس ولم تجلثوني ، وتركتم للناس
ولم تتركوا لي . اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتهم من الثواب»^(١)

(١) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبيهقي اه وعزاه في
روح المعاني إلى أبي نعيم والبيهقي وابن عساكر وابن النجار وابن مردويه .

من عمل بطاعة الله تعالى ثم لم يتمكن منها ونيته الدوام عليها
فان الملائكة تكتب له أجر ذلك :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ما من أحدٍ
من المسلمين يُبتلى ببلاءٍ في جسده - أي بسبب مرض أو كبر سن -
إلا أمر الله تعالى الحفظة فقال : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو
صحيح مادام مشدوداً في وثاقه » (١) .

وقد روي ذلك أيضاً في حق المسافر . فروى الطبراني عن أبي
موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يكتب
للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه - أي مرضه -
وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حاضره »

ونقل في فيض القدير عن ابن حجر رحمه الله تعالى أنه قال :
هذا الحديث وارد في حق من كان يعمل طاعةً فنع منها ، وكانت نيته
- لولا المانع - أن يدوم عليها اهـ .

ومما ورد في ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه باسناد جيد عن

(١) أي البلاء الذي ابتلاه الله تعالى به . وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي
والدارقطني .

أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح : كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربه » .

موقف الكرام الكاتبين لأعمال الإنسان بعد موته : اختلف العلماء

في مقرّر الكرام الكاتبين بعد موت الإنسان ؟ قليل : يرجعون إلى معابدهم في السماء ، وقيل : يبقون حذاء قبر المؤمن يستغفرون له ويسبحون ويحمدون ويكبرون ويكتبون ذلك في صحيفته . واستدلوا على ذلك بما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى وكلّ بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فإذا مات قال الملكان للذان وكتّلاه : قد مات فأذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحونني ، فيقولان : نقيم في الأرض ؟ فيقول سبحانه : أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني، فيقولان : فأين نقيم ؟ فيقول : قوما على قبر عبدي، فسبحاني واحمداني وكبراني ، واكتبوا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » (١).

(١) قال في الدر المنثور : رواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ ، وروي من طرقٍ أخرى أيضا .

أمر النبي ﷺ بالاستحياء من الكرام الكاتبين : روى البزار بالسند المتصل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله تعالى الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الفائط ، والجنابة ، والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو بجرم حائط ، أو ببعيره » (١). وقد رواه ابن أبي حاتم مرسلًا عن مجاهد أن النبي ﷺ قال : « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والفائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه » .

الحكمة في كتابة أعمال بني آدم

إن الله تعالى أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفى عليه ما سكن في الظلماء أو تحرك بالضياء ، وهو الذي ينبيء عباده يوم القيامة بأعمالهم ، ويطلعهم على جميع شؤوناتهم وأحوالهم ، وإنما أمر

(١) قال ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث بسنده : ثم قال الحافظ البزار : حفص بن سليمان أحد رواة لين الحديث ، وقد روي عنه واحتمل حديثه اهـ

الملائكة بكتابة أعمال العباد - وهو أعلم بذلك - لوجوه من الحكم :

أولاً : أن يعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلباتهم، ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم . قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وذلك مما يكف* الانسان عن فعل المخالفات وارتكاب المنكرات ، ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة ، فان الانسان حين يعلم أن عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه ، تراه يلتزم حدّه ويقف عنده ، لعله بمراقب يرقبه ، مع أن هذا الرقيب هو إنسان مثله ، قد يغفل ويسهو وينسى ويلهو ، فما ظنك برقابة رقباء يلازمون رقبة ابن آدم ، لا يتركونه في الليل ولا في النهار، ولا يسهون ولا يغفلون ، بل هم كما وصفهم سبحانه ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ ؟ !

ولذا قال تعالى منهاً ومتوعداً للطغاة البغاة: ﴿ أم يحسبون أننا لنسمع سرهم ونجواهم ؟ إلی ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ . كما بين سبحانه أن مكر الماكرين في آياته هو مسجل عليهم . قال تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا . قل الله أسرع مكرراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ وهذا شأن المنكرين الجاحدين ، إنهم إذا أذاقهم الله رحمة: رخاء وسعة ونعمة، بعد ضراء أي شدة وضيق وبلاء ، إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى وطعن فيها وعدم اعتراف

نعم الله عليهم .

ثانياً : إن هذا الكتاب الذي يسطر على نبي آدم أعماله وأقواله ، سوف يكون يوم القيامة حجةً عليه إذا هو خالف أوامر الله تعالى أو ارتكب ما حرم الله تعالى ، ولا يستطيع حينئذ أن ينكر شيئاً مما سطره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة . قال تعالى ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبُر . وكل صغير وكبير مستطر ﴾ . أي مسطر عليهم في صحائفهم التي كتبها الكرام الكاتبون . وفي المسند وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول : « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب ، فان لها من الله طالباً » . فالصغيرات والمحقرات من الذنوب في نظر فاعلها لها طالب ، وعليها حاسب .

ثالثاً : أن يعلم العبد أن أعماله تكتب عليه وتحفظ في كتابه حتى إذا جاء يوم القيامة عرضت على رؤوس الأشهاد . فان كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيبة فرح بذلك ، وسُرَّ سروراً عظيماً ، ويعطى كتابه بيمينه وهنا يقول معلناً سروره وغبطته هاؤم اقرؤوا كتابيه . قال الله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم ^(١) اقرؤوا كتابيه .

(١) أي خذوا اقرؤوا كتابي وانظروا ما فيه من الحسنات والخيرات .

إني ظننت أنني ملاقٍ حسابيه . فهو في عيشةٍ راضيةٍ * الآيات .
 وقال تعالى : * يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم ^(١) ، فمن أوتي
 كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم * أي فرحين مستبشرين ومعلمين
 ذلك على مرأى الأَشهاد * ولا يظلمون فتيلاً * .

وإن كانت أعمالاً سيئة سيء وجهه وكرب لذلك ، وأخذ يتلوّم
 ويتحسّر ، قال الله تعالى * وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني
 لم أُوتَ كتابيه . ولم أدرِ ما حسابيه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى
 عني ماليه . هلك عني سلطانيه * .

رابعاً : أن توضع كتب الفجار وما اشتملت عليه من قبائح
 وفضائح ، وسيئات وهنات ، في ديوان سجّين أسفل سافلين ، وتوارد
 عليهم الويلات واللعنات .

وترفع كتب الأبرار وما احتوت عليه من أعمال الطاعات
 والحسنات والخيرات إلى ديوان عليّين ، ليشهدها المقرّبون من الملائكة

(١) أي برسولهم ، أو دينهم أو كتابهم الذي جاء به نبيهم ، فيقال : يا أتباع
 النبي فلان ، ويا أهل دين كذا ، ويا أهل كتاب كذا . وعن ابن عباس
 أن المراد بالامام هنا متبوعهم في الدنيا الذين اتبعوه في الخير أو في الشر ،
 في الهدى أو في الضلال .

والأرواح العالية ومقرّبو كل سماء ، وهناك يثنى على أصحابها ، وينشر فضلهم ويعلو ذكركم وتشهد كرامتهم ويذكر فعلهم .

قال الله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينَ ! . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَّيْنِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَّيُونُ ! . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

خامساً : أن يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب . قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ ! وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ . والمعنى أن أرض الموقف أشرقت بنور ربها لما تجلى سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ، وهناك حقّت الحقائق ، وبرزت الدقائق ، وبلت السرائر وظهرت الضمائر ، فعلت كل نفس ما أحضرت . وقوله تعالى ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ قال كثير من المفسرين : المراد بهذا الكتاب كتب أعمال العباد ، و « أل » فيه للاستغراق ، والمراد بوضعه جعل كل كتاب

في يد صاحبه : اليمين أو الشمال ، أو جعل كل كتاب في ميزان صاحبه .

وذهب بعض المحققين إلى أن المراد بهذا الكتاب هنا : كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب .

قال العلامة اللقاني في بعض شروحه على الجوهرة : جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل إن صحف العباد ينسخ - أي يكتب - مافي جميعها في صحيفة واحدة اه . قال في روح المعاني : والظاهر أن جزم الغزالي وأضرابه لا يكون إلا عن أثر ، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي كما هو الظاهر . اه

أقول : قد بين ذلك الشيخ الأكبر رضي الله عنه فذكر أن هناك كتابين عظيمين جامعين : أحدهما يسمى « أمّا » كتب فيه ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فهو كتاب ذو قدر معلوم ، فيه بعض أعيان الممكنات ، وما يتكوّن عنها ويسمى « كتاب القضاء » وهو - أي القضاء - الحكم الإلهي على الأشياء الممكنة بكذا وكذا .

وثانيهما يسمى « كتاب الإحصاء » قال تعالى ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً ﴾ وقد كتب فيه مايتكوّن عن المكلفين خاصة ،

فلا تزال الكتابة فيه مستمرة مادام التكليف باقياً ، وبه تقوم الحجة لله تعالى على عباده المكلفين ، وبه يطالبهم ويحكمهم يوم القيامة ، لا بالكتاب الأول ، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ الآية . وكلا الكتابين محصور لأنه موجود بإيجاده تعالى ، وأما علم الله تعالى في الأشياء فلا يحصره كتاب مرقوم ولا يسمعه رق منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى . اهـ (١) .

ومن جملة الشهداء الذين يشهدون يوم القيامة على العباد : الكرام الكاتبون ، يشهدون على النفس الموكلين عليها . قال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ . وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ فقال : « هل تدرون مم أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال « من مخاطبة العبد ربّه . فيقول يا ربّ ألم تجرنى من الظلم ؟ فيقول بلى . فيقول - العبد - إني لأجيز اليوم على نفسي شاهداً إلاّ مني ، فيقول - تعالى - : كفى بنفسك اليوم عليك حسيماً ، والكرام الكاتبين عليك شهوداً . قال : فيختم على فيه - أي

(١) انظر الجزء الثالث من الفتوحات .

فه - ويقال لأركانه - أعضائه - : انطقي ، فتتطق بعمله ، ثم يخلّص بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ « أي أجادل وأدافع .

موقف العبد يوم القيامة من كتابه وكتّابه : إذا نشرت صحف الاعمال وشهد على ذلك الكرام الكاتبون : أقرّ العبد بذلك ، وأيقن بصديق الملائكة الكتبة وثقتهم ، ولم يجد سبيلا إلى الإنكار ولا الاعتذار ، ولا للطعن في الشهداء لأنهم عدول أخيار ، كما ورد في حديث البطاقة : « إن الله تعالى يقول للعبد : أتُنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أَفَلَاكَ عذر ؟ فيقول : لا يارب .. » الحديث .

وكيف يستطيع العبد يوم القيامة أن ينكر أعماله التي صدرت منه في الدنيا والحال قد نطق بها كتابه ؟ قال تعالى ﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لا يظلمون ﴾ . أم كيف ينكر العبد أعماله وقد وجدها حاضرة أمامه ؟ قال تعالى ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء .. ﴾ الآية . بل كيف ينكر العبد أعماله وقد

ارتسمت آثارها في لوح نفسه ، فهو يشهدا بحسه ؟ قال تعالى ﴿ كفى
بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم من المضار

من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك

قال الله تعالى ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ،
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات ^(١) من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ، وما لهم من دونه
من وال ﴾ .

يخبر سبحانه عن سعة سمعه للأصوات والأقوال كلها ، سرّها
وجهرها ، كما يخبر سبحانه عن إحاطة بصره لسائر المخلوقات ، في سائر
الحالات : ظلماتها وضياؤها وليلها ونهارها ، ثم يبين سبحانه إحاطة قدرته
بجميع الأشياء وأنه لا يستطيع أحد أن يحفظ غيره إلا بأمره تعالى
وتقويته على ذلك . فهو سبحانه وكّل ابن آدم ملائكة معقبات ،

(١) المعقبات : جمع معقبة ، وإنما وصفت الملائكة الموكلون بحفظ ابن آدم بذلك ،
لأنهم يعقب بعضهم بعضاً في حفظ ابن آدم وكلاءته في الليل والنهار ، دون
أن يقع بينهم فترة انقطاع .

يحفظونه من المضارة والمهلكات ، من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك ، وقواهم على ذلك ، كما جاء في قراءة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين قرؤوا « يحفظونه بأمر الله » ^(١)

وهذا أمر معاني مشهود ، فكثيراً ما يقع شخصان في خطر عظيم وكرب جسيم ، وإذا أحدهما ينجو ويسلم ، والآخر يصيبه ما يصيبه ، مع أن الخطر أحاط بهما ، فهذا حفظته الملائكة من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك ، فعصم ، وذلك تخلّوا عنه فقُصِمَ .

روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً قال : « وكَلَّ بالمؤمن ثلثمائة وستون ملكاً ، يدفعون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك . للبصر سبعة أملاك يذبّون عنه كما يُذبّ عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل ، وكلهم باسط يديه فاغراً فاه ، وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لا تختطفه الشياطين » . وأخرج ابن المنذر وغيره عن علي رضي الله عنه قال : لكل عبد حفظة يحفظونه ، لا يخرّ عليه حائط أو

(١) و« من » في قوله تعالى ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ للسببية ، ويقال لها : أجليّة ، أي من أجل أمر الله تعالى بذلك .

يتردّى في بئر أو تصيبه دابة ، حتى إذا جاء القدر الذي قدر له خلّت عنه الحفظة فأصابه ما شاء الله تعالى أن يصيبه .

القرين من الملائكة برل ابن آدم على الخبر

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مامنكم من أحد إلا وقد وكّـل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة » قالوا : وإيّاك يا رسول الله؟ قال : « وإيّاي ، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأتيـني إلا بخير » .

إن الله تعالى خلق الانسان واستعمره في دار الدنيا ، وهي دار التكليف والاختبار ، وقد أعطاه العقل والاختيار المناسب لخلقـه ووجوده الممكن والمتسع لتكاليفه الشرعية ، ثم أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم فجاءوا بالشرائع السماوية والنظم الإلهية المشتملة على مصالح العباد والبلاد وسعادة الدنيا والآخرة ، وبينت الرسل صلوات الله تعالى عليهم ذلك بأكمل بيان ، وأوضح برهان ، حتى ظهر الحق وانجلي نور شرع الله تعالى ، فهنا تحرّك القرين الشيطاني ليصرف هذا الانسان عن متابعة الحق بعد ما تبيّن ، ويحمـله على اتباع الهوى الفاسد ، وراح يزين له فعل الشر ليصرفه عن جانب الخير ، وأخذ القرين الملـكي يحسن له الخير ويحمـله على متابعة الحق الذي فيه الصلاح

والفلاح ، ووقف العبد موقف المختار ، فاما أن يختار ويستحب الهدى على الردى ، ويجنح إلى جانب الحق مبتعداً عن الباطل ، ويرجع جانب القرين الملوكي ، وإما أن يختار ويستحب العمى على الهدى والغنى على الرشاد ، ويجنح إلى جانب القرين الشيطاني ، وينتظم في سلك الشياطين ، كما قال تعالى ﴿ شياطينَ الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ .

وقد حفظ الله تعالى النبي ﷺ وأعانه على القرين الجني فأسلم وآمن ، فأصبح لا يأتي النبي ﷺ إلا بخير ، والراجع لدى النظر رواية « فأسلم » بفتح الميم ، بمعنى صار مسلماً مؤمناً - على رواية « فأسلم » بضم الميم ، بمعنى أسلم من شره . وذلك لأنه أصبح لا يأتي إلا بخير ، وهذا شأن المسلم المؤمن ، وأما الكافر فلا يألو شراً .

مروءة اللئمة ^(١) بين آدم

قال الله تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً ﴾ والله واسع عليم ﴿ وقد بين النبي ﷺ الذي علم البيان عن معاني القرآن ، فقال كما ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن للشيطان لئمةً بين

(١) اللئمة هي الخطرة الواحدة، من اللئام، وهو القرب من الشيء والدنو منه .

آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما
 لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله
 تعالى ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ الشيطان
 يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً .. ﴾ ^(١)
 الآية .

فالشيطان يُلمُّ بابن آدم - أي يدنومنه - ليعده بالشر ، فيخيفه
 من الفقر حتى يمسك عن الانفاق والتصدق في سبيل الله تعالى ، ويقول
 لابن آدم : أمسك عليك مالك ، ولا تصدق وأبقه لعيالك ، وأصلح
 به حالك ، فربما كبرت سنك ، وقد ذهب مالك فتمسي فقيراً .. الخ .
 كما وأن الشيطان يحمل ابن آدم على التكذيب بالحق الذي جاء عن
 الله تعالى وعن رسوله ﷺ .

وأما الملك فإنه يلمُّ بابن آدم ليعده بالخير في الدنيا والآخرة ،
 ويفتح له أبواب البشائر والسعادات ، ويحمله على التصديق بالحق الذي
 جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، فما أرأف وأرحم رب العالمين
 بعباده ! نعم هو سبحانه أرأف وأرحم بعباده من أنفسهم .

(١) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي وأخرجه ابن حبان
 في صحيحه .

كما وأن الله تعالى واعظاً في قلب عبده المسلم يذكره بالخير ويحذره من الشر . ففي المسند عن النواس بن سميان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله مثلاً : صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سُوران فيها أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مُصرخة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول يا أيُّها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا - أي لا تنحرفوا - وداعٍ يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فانك إن تفتحه تلجئه - أي تدخله - . فالصراط الاسلام ، والسُوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » (١) .

فعلى المسلم أن يُصغي إلى واعظ الله تعالى في قلبه ، وليعمل بمقتضى وعظه . ويسمى أيضاً : الزاجر ، كما بينه العارفون وهو النور المقذوف في القلب الداعي إلى ما يقرب إلى الله تعالى ، الزاجر

(١) قال الحافظ ابن كثير : رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حجر ، عن بقة ، عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن النواس بن سميان ، وهو إسناد حسن صحيح ، والله أعلم . اهـ

عما يُبعد عنه سبحانه .

وبناءً على هذه الأحاديث النبوية الآتية - قسم العلماء العارفون

الواردات التي ترد على القلوب إلى أربعة أقسام : الوارد الرحماني، وهو أوّل الخواطر ويسمى السبب الأول ، ويعرف بقوة وتسلّطه على القلب السليم الصافي ، وعدم اندفاعه بالدفع . والوارد المملكي ، وهو ما يبعث على فعل الخير والصلاح ، ويسمى إلهاماً ، والوارد النفساني ، وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، والوارد الشيطاني، وهو ما يدعو إلى فعل الشر ومخالفة الحق ويسمى وسواساً .

والأصل العام الحاكم في التفرقة بين تلك الواردات كما أجمع عليه العلماء والعارفون : هو الميزان الشرعي ، فما وافق ما جاء به الشرع فهو من الأوليّين ، وما خالفه فهو من الآخرَيْن .

وهناك علامات تدل على نوعية تلك الواردات، ذكرها العارفون، يدركها من هو صافي القلب طاهر السريرة .

فمن ذلك : أن كل ما يكون سبباً في الخير مأمون الغائلة في العاقبة ، ولا يكون سريع الانتقال إلى غيره ، ويحصل بعده توجه تامّ إلى الله تعالى وإقبال عليه : فهو رحماني أو مملكي ، وما يكون بعكس ذلك فهو شيطاني .

ومن ذلك أن مأورث أنساً وانشراحاً للصدر ونوراً في القلب فهو رحمانى، وما كان فيه دلالة على الخير وتنشيط الهمة نحو الخير فهو ملكي، وما كان ضد ذلك فهو شيطاني .

ومنها : أن ما أورث سكينَةً وطمأنينةً للقلب فهو ملكي، وما أورث قلقاً واضطراباً فهو شيطاني . والإلهام الملكي يكثر وروده على القلوب الطاهرة النقية المستنيرة بنور الله تعالى ، فللملك اتصال بها قويٌّ ، لمناسبة الطيب والطهر والصفاء والنقاء ، وأما القلب المغبر أو المظلم الذي اسودَّ بدخان الشبهات أو الشهوات المحرمة فتكثر وارداته الشيطانية ، لكثرة ورود الشياطين له ، للمناسبة بينهما ^(١) .

(١) قال العلامة الشيخ زروق في قواعده : تمييز الخواطر من مهات أهل المراقبة ، لنفي الصوارف عن القلوب ، فلزم الاهتمام بها لمن له في ذلك أدنى قدم ، والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ، ونفساني ، وملكى ، وشيطاني . وكلٌّ إنما يجري بقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه .

فالرباني لامتزحج ولا متزلزل ، كالنفساني، ويجريان - أي الرباني والنفساني - محبوب وغيره ، فما كان في التوحيد الخاصّ رباني (وما كان) في مجاري الشهوات فنفساني ، وما وافق أصلاً شرعياً لا يدخله رخصة ولا هوىّ فربّاني ، وغيره فنفساني ، ويعقب الرباني برودة وانشراح ، والنفسانيّ يسس وانقباض ، والرباني كالفجر الساطع لم يزد إلا وضوحاً ، والنفساني كعمود قائم إن لم ينقص بقي على حاله . فأما الملكى والشيطاني فتزدان =

حضور الملائكة عليهم السلام مجالس العبادات

حضور الملائكة صلاة الجمعة واستماعهم للذكر والوعظ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ، ومثل المهجّر - أي المبكر - كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشاً ، ثم دجاجة ، ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام طوّأ صحفهم يستمعون الذكر » . رواه الشيخان .

شهود الملائكة يوم الجمعة : روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله

= - أي يكثر ترددهما على القلب ما بين تارةٍ وأخرى - (ولكن) لا يأتي الملكي إلا بخير ، والشيطاني قد يأتي به - أي بالخير لكنه ممزوج بشر أو عاقبه شر - فيشكل ، ويفرق (بينها) بأن الملكي تعضده الأدلة ، ويصحبه الانشراح ، ويقوى بذكر الله تعالى ، فأثّره كنبش الصبح ، وله نفاذاً ، بخلاف الشيطاني ، فإنه يضعف بذكر الله تعالى ويعمي عن الدليل ، وتمقه حرارة ، ويصحبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة في الوقت ، وربما تبعه كسل الخ اه . ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتب القوم، سيما التعريفات والاصطلاحات ، ومقدمة الشيخ داود القيصري ، وشروح الرسالة القشيرية ونحوها .

عنه أن النبي ﷺ قال : « أكثرُوا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، ^(١) فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ^(٢) ، وإن أحداً لن يصلي عليَّ إلاَّ عُرضت عليَّ صلاته حين يفرغ منها » قلت : وبعد الموت ؛ فقال ﷺ « وبعد الموت ، إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ^(٣) .

تأمين الملائكة لفاتحة الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فانه مَنْ وافق قوله قول الملائكة : غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه » . متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « إذا قال أحدكم : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ، يوافق إحداهما الأخرى : غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه » .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر أن المراد بالملائكة مَنْ يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض والسماء اهـ .

(١) ذكر أبو طالب المكي أن أقلَّ الأثرية ثلاثمائة مرة .

(٢) أي تشهد مايجري فيه من أعمال صالحة وقربات وطاعات لتشهد بها عند الله تعالى .

(٣) قال المناوي : رجاله ثقات اهـ .

تحميد الملائكة في الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ما تقدم من ذنبه » . متفق عليه .

حضور الملائكة الحفظة عند صلاتي الفجر والعصر : عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناكم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون فاغفر لهم يوم الدين » . رواه الشيخان وابن خزيمة - واللفظ له - كما في الترغيب .

الملائكة تحف بالمصلي إلى عنان السماء : روى محمد بن نصر عن

الحسن البصري مرسلًا : أن النبي ﷺ قال : « المصلي ثلاث خصال : يتناثر البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وتحف به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء ، ويناديه منادٍ : لو يعلم المصلي من

يناجي ما انقتل » . أي ما انقتل من صلاته بل يبقى متوجهاً لمن
يناجيه سبحانه .

الملائكة يتفقّدون أهل المسجد : عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي ﷺ قال : « إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم، إن
غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم ثم
قال : جليس المسجد على ثلاث خصال : أخٌ مستفاد، أو كلمة حكمة ،
أو رحمة منتظرة » . (١)

الملائكة يبلغون رسول الله ﷺ السلام عن أمته : عن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحين في
الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » (٢) وعن الحسن بن علي رضي الله
عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حيثما كنتم فصلّوا عليّ فإن صلاتكم
تبلغني » . رواه الطبراني بإسناد حسن كما في الترغيب .

صلوات الملائكة على عباد الله المؤمنين وأسباب ذلك : قال الله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ

(١) رواه أحمد من رواية ابن لهيعة ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطها
كما في الترغيب للمندري .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه .

بكرةً وأصيلاً . هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحماً * .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ، وهو ما يعم الأوقات والأحوال كلها سوى الأحوال التي كره الشارع فيها ذلك ، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على أحيانه كلها . أي فيعطي كل حين حقه من ذكر الله تعالى بالثناء أو الدعاء أو نحو ذلك . وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر الكثير أن لا ينسى جلّ وعلا .

ثم قال سبحانه * وسبحوه بكرةً وأصيلاً * أي أول النهار وآخره ، وخصها بالذكر لأن لهما فضلاً على غيرها بسبب حضور ملائكة الليل والنهار ، والتقائهما فيها . وقال بعضهم : المراد بالتسبيح بكرة وأصيلاً صلاةُ الفجر وصلاةُ العصر .

* هو الذي يصلي عليكم وملائكته *^(١) والصلاة من الله تعالى

(١) وورود هذه الآية منفصلة - أي بدون عطف على ما قبلها - إما من باب ترتب الجزاء على العمل ، فهي بيان للمؤمنين أنهم إذا ذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرةً وأصيلاً : فإن الله تعالى يكرمهم فيصلي عليهم هو وملائكته . أو من باب بيان السبب الموجب على المؤمنين أن يذكروا الله =

تشتمل على الرحمة الخاصة والتعطُّف والحنان ، والصلاة من الملائكة هي الدعاء والاستغفار . ثم يبيِّن سبحانه آثار صلته على عباده المؤمنين وصلاة ملائكته وماذا يترتب على ذلك ، فقال ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي ليخرجكم من ظلمات لذنوب والشبهات والشهوات الصادرة عن النفس وأهوائها وانحرافها - إلى نور الطاعة والهداية واليقين، كما أنه سبحانه يخرجكم من ظلمات النفس وغواشي المحسوسات إلى نور اليقين وأسرار المكوثيات .

حضور الملائكة مجالس ذكر الله تعالى : روى البخاري عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر - وفي رواية لمسلم : يتَّبِعُونَ مجالس الذكر - فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمُّوا إلى حاجتكم ، فيحفُّونهم بأجنحتهم^(١) إلى السماء الدنيا - وفي رواية مسلم : قعدوا معهم وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين

= ذكرأ كثيراً ويسبحوه بكرة وأصيلاً . والمعنى حينئذٍ : اذكروا الله ذكرأ كثيراً .. الآيات لأنه سبحانه يصلي عليكم هو وملائكته ، فأدُّوا واجب هذا بذلك . والله أعلم .

(١) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين .

السماء الدنيا - فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم - زاد مسلم فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض ، فيقول سبحانه : ما يقول عبادي ؟ قال فيقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، - وفي رواية : ويعجّدونك - قال فيقول : هل رأوني ؟ قال فيقولون : لا والله مارأوك . قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادةً ، وأشدّ لك تعجيّداً ، وأكثر لك تسبيحاً . قال يقول : فما يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب مارأوها . قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها . قال فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فمّمّ يتعوّذون ؟ قال يقولون : من النار ، قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يا ربّ مارأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : كانوا أشدّ منها فراراً وأشدّ لها مخافة ، قال فيقول : فأشهدكم أنني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، - وفي رواية : فيقولون : إن فيهم فلاناً الخطاء لم يُردّهم ، إنما جاء لحاجة - أي لا يقصد الذكر معهم - فيقول سبحانه : وله قد

غفرتُ ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم - وفي رواية للبخاري : هم
الجلساء لا يشقى جليسهم - . والمعنى هم جلساء الحق لا يشقى بهم جليسهم
من الخلق ، وذلك لما ورد : « أنا جليس من ذكرني » . وحديث
الصحيحين . « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني - وفي
رواية : وأنا معه حين يذكرني » . وهذا وإن مجالس الذكر تشمل
مجالس القرآن الكريم ، ومجالس تفسيره ، ومجالس الحديث النبوي ،
ومجالس العلم الشرعي ، ومجالس التسبيح والتحميد والتهليل ، ومجالس
الصلاة على النبي ﷺ ، ومجالس الاستغفار والدعاء ، فإن جميع ذلك
فيه ذكر الله تعالى ، قال في فتح الباري : وفي هذا الحديث فضل
مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم
يندرج معهم في جميع ما يفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم - أي
للذاكرين - وإن لم يشار إليهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة
لبني آدم واعتناؤهم بهم ، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو
أعلم بالمسؤول عنه لإظهار العناية بالمسؤول عنه ، والتنويه بقدره والإعلان
بشرف منزلته - يعني أن سبحانه إنما سأل الملائكة وهو أعلم بعباده
من الملائكة ليباهي الملائكة بالذاكرين ، ولينوّه بهم ويعلن بشرف
منزلتهم - ثم قال : وفي الحديث بيان كذب من ادّعى أنه يرى الله

تعالى جهراً في الدنيا ، وقد ثبت في صحيح مسلم ومن حديث أبي امامة رفعه : « واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » اهـ .
حضور الملائكة عليهم السلام مجالس القرآن ، ومجالس الصلاة

على من أنزل عليه الفرقان : عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله سيّارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر ، فإذا أتوا عليهم حَفَّوْا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا أتيننا على عباد من عبادك : يعظّمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلّون على نبيك محمد ﷺ ، ويسألونك لآخرتهم وديارهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غشّوهم رحمتي ، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

مجالس الثناء على الله تعالى وذكر نعمه يباهي الله تعالى بها ملائكته : (٢)

عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . فقال : « الله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ »

(١) رواه البزار كما في الترغيب .

(٢) ومعنى الباهة : هي إعلان الثناء عليهم ، والاعلام بكريم منزلتهم عنده سبحانه .

قالوا آله ما جلسنا إلا ذلك . فقال ﷺ : « أما إني لم أستحلفكم
 تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم
 الملائكة » . رواه مسلم .

تباهي الملائكة بمجالس ذكر نعم الله تعالى وحمده : عن أنس
 رضي الله عنه قال : كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب
 رسول الله ﷺ قال له : تعال نؤمن بربنا ساعة - أي لنزداد إيماناً -
 فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال :
 يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟
 فقال النبي ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى
 بها الملائكة » (١) .

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : مرَّ النبي ﷺ بابن رواحة
 وهو يذكر أصحابه فقال ﷺ : « أما إنكم الملائكة الذين أمرني الله
 أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية ﴿ واصبر نفسك مع الذين
 يدعون ربهم ﴾ الآية .

الملائكة تحفُّ بالذين يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من نفس

(١) رواه أحمد بإسناد حسن كما في الترغيب وجمع الزوائد .

عن مؤمنٍ كربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة^(١) ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يسر على مُعسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة^(٢) ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا حَفَّتْهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبهُ » . رواه مسلم وأصحاب السنن . فما أشرف الاجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى ومدارسه نصاً أو معنى وتفهمه

(١) وإن كرب يوم القيامة هي أدهى وأمرّ من كُرب الدنيا ، وما أحوج الإنسان إلى مايفرج عنه الكرب يوم القيامة !.

(٢) قال في الفتح المبين : والمراد بتسهيل الطريق إلى الجنة : تسهيل الانتفاع به والعمل بمقتضاه، وهو العمل الصالح، فيكون العلم سبيلاً لهدايته ودخوله الجنة وسبيلاً لتسهيل طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله ، فيأمن من تلك الأهوال والخاوف ، فإن العلم يدل على الله تعالى من أقرب الطرق إليه ، فمن سلك طريق العلم وحققه بالعمل ولم يرج عنه: وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، إذ لا طريق إلى معرفته تعالى ورضاه إلا بالعلم النافع وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضي لخشيته وإجلاله ومحبته ورجائه، وهذا أول علم يرفع ، كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه اه .

وتدبره ؟ إن هذا الاجتماع لتحفُّ به الملائكة حفاوةً وتكريماً وجباً فيه وقرباً منه .

الملائكة تنزل بالسكينة على قارئ القرآن : روى البخاري عن

أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس - أي هاجت واضطربت - فسكت عن القراءة - فسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف - أسيد - وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق - أسيد على ابنه - أن تصيبه ، فلما اجتريه^(١) رفع رأسه إلى السماء حتى مايراها ، وفي رواية : رفع رأسه إلى السماء ، فاذا هو بمثل الظلَّة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى مايراها ، وفي رواية لمسلم : فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُرُج عرجت في الجوّ حتى ماأراها - فلما أصبح حدث النبي ﷺ ، فقال له ﷺ : « اقرأ يا ابن حُضير ، اقرأ يا ابن حُضير »^(٢) .

(١) أي اجتريه أسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لا تظاه الفرس .

(٢) أي كان ينبغي لك يا ابن حضير أن تستمر على قراءتك ، لتستمر لك البركة والسكينة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة ، وهو خوفه على ابنه يحيى أن تظاه الفرس . اه فتح الباري .

قال أسيد : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً ،
فانصرفتُ إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال
المصابيح ، فخرجت حتى ماأراها ، فقال ﷺ : « وتدري ماذا ؟ »
قال لا ، فقال ﷺ : « تلك الملائكة دنتُ لصوتك - وفي رواية
مسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحتُ ينظر الناس
إليها لا تتوارى - أي لا تختفي - منهم . وفي رواية الحاكم : تلك الملائكة
نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت - أي بقيت على قراءتك -
لرأيت العجائب » . والمعنى أنه لو استمر على قراءته لبقيت الملائكة
بارزة للناس غير مستترة عنهم لاستغراقها في لذة السماع للقرآن الكريم ،
وانجذابها إلى الروح القرآني .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : كان رجل^(١) يقرأ سورة
الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطَينين - أي جبلين - فتغشَّته
سحابة فجعلت تدنو وتدنو - أي تقرب من مكان القارئ - وجعل
فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال ﷺ :

(١) قيل هو أسيد بن حضير ، وقد تمددت قصته في تنزل الملائكة لقراءته
حين قرأ سورة البقرة وحين قرأ سورة الكهف ، وقيل : هذا صحابي
آخر غير أسيد .

« تلك السكينة للقرآن » وفي رواية الترمذي : « نزلت مع القرآن أو على القرآن » .

وروى أبو داود من طريق مرسله : قيل للنبي ﷺ : ألم ترَ لثابت بن قيس بن شماس ؟ لم نزل داره البارحة ترهراً بمصاييح ! فقال ﷺ : « فلملّه قرأ سورة البقرة ؟ » فسئل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة ^(١) .

الملائكة تحفُّ طالب العلم بأجنحتها : عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال : أتيتُ النبي ﷺ وهو في المسجد متكئاً على بُردٍ له أحمر ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئتُ أطلب العلم ، فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفُّه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » ^(٢) .

وفي الحديث بيان فضل طلب العلم من وجوه متعددة ، منها : حفاظة سيدنا رسول الله ﷺ بطلب العلم وترجيئه به . ومنها : تنشيط

(١) انظر فتح الباري في فضل سورة الكهف .

(٢) قال الحافظ المنذري : رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصحح إسناده وابن ماجه نحوه باختصار . اهـ

همته وبشارته له بأن الملائكة تحفه حباً فيه وإكراماً له ، متزاحمين على ذلك ، فإذا تتصور من فضل طالب العلم الذي أكرمه رسول الله ﷺ ورحّب به ، وأكرّمته ملائكة الله تعالى وحقّت به حفاظاً عليه وصيانةً له ؟

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع : عن أبي

الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » (١) .

ففي هذا الحديث : بيان فضل العالم ، وأن الملائكة تضع أجنحتها له توقيراً وتواضعاً وتبجيلاً . وهذا الوضع يحتمل بل يشمل عدة وجوه ذكرها المحققون :

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي كما في الترغيب .

الأول - أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم تواضعاً له ،
وتوقيراً لما يحمله من ميراث النبوة ، ويكون هذا من باب : ﴿ واخفض
جناحك للمؤمنين ﴾ .

الثاني - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها وتمدها لطالب
العلم ، تكريماً وتعظيماً وتحبباً وتقرباً .

قال الطبراني : سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال :
كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين ، فأسرعنا
المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن
أجنحة الملائكة لا تكسروها - قالها كالستهزيء - فإزال من موضعه
حتى جفت رجلاه وسقط .

وقد نقل بالسند عن أحمد بن شعيب قال : كنا عند بعض المحدثين
بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم » . وفي المجلس معنا رجل من المبتدعة فجعل يستهزيء
بالحديث فقال : والله لأطرقنَّ غداً نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة
الملائكة ، ففعل ومشى في النعلين ، فجفت رجلاه جميعاً ، ووقعت
فيها الأكلة .

الثالث - أن الملائكة تُظِلُّ طالب العلم بأجنحتها تكريماً له .

الرابع - أن وضع الجناح معناه الكفّ عن الطيران ونزولهم عند مجالس العلم ، حباً في العلم وقرباً من العلماء .

الخامس - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها - داعيةً لطالب العلم كما تبسط الناس أيديها للدعاء ، وقد نقل ذلك عن الإمام مالك رضي الله عنه في كلامه على هذا الحديث . وهناك وجوه أخرى .

وأما قوله ﷺ : « وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء » : فانه لما كان العالم سبباً في نشر العلم الذي به نجاة النفوس من المهلكات ، وكانت نجاة العباد والبلاد على يديه ، جُوزي من جنس عمله ، فجعل من في السماوات والأرض ساعياً في الدعاء له ، والاستغفار له ، بل إن جميع الحيوانات والطيور وغيرها كلها تستغفر للعالم ، كما جاء في رواية « حتى النملة في جحرها » . وذلك لأن العالم يعلم العباد رعاية حقوق هذه الحيوانات ، ويعرفهم ما يحل الانتفاع بها ومنها ، وما يحرم ، ويعرفهم كيفية استخدامها ووجوه الانتفاع بها على الوجه المشروع ، وكيفية ذبح ما حلّ منها على أحسن الوجوه وأرقها بالحيوان ، فاستحق العالم أن تستغفر له البهائم والحيتان ^(١) .

(١) فأكرم بأولى العلم الذين استشهد الله تعالى بشهادتهم على وحدانيته ، فقال =

= تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم .. ﴾ الآية ،
واستشهد بشهادتهم لتصديق رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ قل كفى
بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ . ورفع درجاتهم على من
سواهم من أهل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ، ورفع مستواهم على غيرهم ، فقال تعالى :
﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ! ﴾
وأكرم بأولي العلم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بأنهم ورثة الأنبياء ،
فقال : « إن العلماء ورثة الأنبياء » وشهد لهم بالعدالة فقال : « يحمل هذا
العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ،
واتتحال المبطلين » . وأخبر أنهم الذين أراد الله تعالى بهم خيراً فقال :
« من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وأنهم منار العلم فإذا ذهب بهم
ذهب نور العلم معهم ، فقال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم قبض العلماء .. » الحديث ، وأنهم
النجوم التي يهتدى بها في الظلمات . فقد روى أحمد عن أنس أن النبي
ﷺ قال : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في
ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة » .
وما أعظم فضل العلم وشرفه عند الله تعالى ! فإن من قصد العلم وسمى
إليه يفتح الله له باباً إلى الجنة ، وتضع له الملائكة أجنحتها ، وتفرس له
أكفافها وتحف به وتصلّي عليه وتستغفر له . كما ورد عن أبي الدرداء
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من غدا يريد العلم
يتعلمه : فتح الله له باباً إلى الجنة ، وفرشت له الملائكة أكفافها ، وصلّت
عليه ملائكة السماوات ، وحيتان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد
كالقمر ليلة البدر على أصفر كوكب في السماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، إن =

= الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظه ، وموت العالم مصيبة لاتحير ، وثلاثة - أي فجوة - لاتسد ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم . قال في الترغيب : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وليس عندهم : « وموت عالم .. » إلى آخره ، ورواه البيهقي واللفظ له . اهـ .

وأكرم بأولي العلم الذين اختارهم سبحانه لملح جوهر العلم بدينه وشرعه ! ومن ثم كانت لهم الكرامة من ربهم في خاصة نفوسهم وفي اتباعهم فيشفعهم بهم ، كما روى الطبراني بالسند الجيد والرواة الثقات أن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم » .

وهذا الحديث أورده في الترغيب بروايتين ، وذكره ابن كثير في مواضع من تفسيره مع تجويد سنده .

وروى البيهقي وغيره عن جابر أن النبي ﷺ قال : « يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم » .

ومن هنا يعلم أن تعظيم أهل العلم وتكريمهم هو من الايمان لا من الامتنان ، وأن اتقاصهم والازراء بهم نفاق وطفیان ، قال ﷺ : « ليس من أمتي من لم يحل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » ، كما في المسند وغيره بالسند الحسن . وقد حكم ﷺ بنفسك من استخف بالمسلم فقال : « ثلاث لا يستخف بهن إلا منافق : ذو الشبهة في الاسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط » رواه الطبراني كما في الترغيب .

وينبغي أن يعلم أن الثناء الوارد في الكتاب والسنة النبوية إنما هو =

الملائكة تصلّي على من يصلي على النبي ﷺ : عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثرُوا الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، فإنه أتاني جبريل آنفاً عن ربه عزّ وجلّ فقال : ما على الأرض من مسلم يصلّي عليك مرةً واحدة إلا صليتُ أنا وملائكتي عليه عشرّاً » (١) .

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله

= في العلماء العاملين بعلمهم ، الذين نفعمهم الله تعالى بعلمهم ونفع بهم ، وذلك هو العلم النافع المقصود في الشرع عند الاطلاق ، وهو الذي دعا به رسول الله ﷺ فقال : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمي ما ينفعني ، وزدني علماً .. » الحديث كما في سنن الترمذي .

وأما العلم الذي لا ينفع فقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » . ورؤي عنه ﷺ أنه قال : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » ، رواه الطبراني والبيهقي كما في الترغيب . وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي : يا عويمر ! فأقول لبئسك رب . فيقول : ما عملت فيما علمت ؟ . اللهم انفعنا بالعلماء العاملين ، وأخلفنا بهم يارب العالمين .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني عن عن أبي ظلال، عنه ، وأبو ظلال وثيق ، ولا يضرك في المتابعات اهـ .

ﷺ يخطب ويقول : « من صلّى عليّ صلاةً لم تزل الملائكة تصلي عليه ماضياً عليّ ، فليُقبلَ عبد من ذلك أو ليُكثر » ^(١) .

الملائكة تصلي على الصف الأول في الصلاة ، وعلى من يصل الصفوف :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنْ الله وملائكته يصلون على الصف الأول » ^(٢) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنْ الله وملائكته يصلّون على الذين يصلّون الصفوف ، ومن سدّ فرجةً رفعه الله بها درجةً » ^(٣) .

الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه بعد الصلاة : عن علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنْ العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلّت عليه الملائكة ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، وإن جلس ينتظر الصلاة صلّت عليه ، وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » . رواه أحمد ، كما في الترغيب .

(١) رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن ماجه ، كما في الترغيب .

(٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه .

الملائكة يصلُّون على من مشى في حاجة أخيه : رُوي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله عز وجل بخمسة وسبعين ألف ملك يصلُّون عليه ، ويدعون له ، إن كان صباحاً حتى يمسي . وإن كان مساءً حتى يصبح ، ولا يرفع قدماً إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة » (١) .

صلاة الملائكة على المتسحَّرين : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله وملائكته يصلُّون على المتسحَّرين » (٢) أي الذين يتسحَّرون للصوم .

الملائكة عليهم السلام يصلُّون على معلِّم الناس الخير : عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، يصلُّون

(١) قال المنذري : رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره .

(٢) رواه ابن حبان وغيره .

على معلم الناس الخير « (١) .

الملائكة تصلي على من يعود المريض : عن علي رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يعود مسلماً غُدْوَةً
إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشيةً إلا صلى
عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة » .
رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وقد روي عن علي رضي الله
عنه موقوفاً اهـ . قال المنذري : ورواه ابن حبان في صحيحه مرفوعاً
ولفظه : « ما من مسلم يعود مسلماً إلا يبعث الله إليه سبعين ألف
ملك يصلون عليه ، في أيّ ساعات النهار حتى يمسي ، وفي أيّ ساعات
الليل حتى يصبح » رواه الحاكم وصححه على شرطها اهـ .

الملائكة تصلي على من ختم القرآن الكريم : عن عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ختم العبد القرآن
صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك » (٢) .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه

البرار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً اهـ .

(٢) عزاه في الجامع الصغير إلى الديلمي في الفردوس ورمز إلى ضعفه . ولكنه

يتقوى بالشاهد الوارد عن سعد فانه رواه الدارمي بإسناد حسن ، ورواه

أيضاً صاحب الحلية عن سعد .

وعن سعد رضي الله عنه أنه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي .

الملائكة تصلي على مطعم الطعام : رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مأثدته موضوعة » (١) .

الدعاء لمطعم الطعام بصلاة الملائكة عليه : روى أبو داود وغيره عن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عباد ، فجاء بخبز وزيت ، فأكل ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصَلَّتْ عليكم الملائكة » .

الملائكة تدنو ممَّن رَقَّتْ قلوبهم بالوعظ والتذكير : روى مسلم عن حنظلة الأسدي قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال حنظلة : قلتُ نافق حنظلة . فقال - أبو بكر - : سبحان الله ما تقول ؟ قال - حنظلة - : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأننا رأيُّ عين ، فإذا خرجنا من عند

(١) قال المنذرى : رواه الاصبهاني . والمأثدة هي مايوضع عليها الطعام .

رسول الله ﷺ عافسنا - أي خالطنا - الأزواج والأولاد والضيّعات^(١) ففسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلتُ : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يارسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة كأننا رأينا عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات ونسينا كثيراً ! فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات - » .

وقد ورد ذلك عن كثير من الصحابة ، ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله مالنا إذا كنا عندك رقّت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فأنسينا أهاليّنا وشمنا أولادنا أنكرنا أنفسنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك^(٢) لزارتكم الملائكة في بيوتكم .. » الحديث ، ولفظ

(١) من المزارع والصناعات والحرف .

(٢) أي على رقة قلوبكم عند التذكير والوعظ ، كما في رواية أخرى لمسلم : =

المسند : « لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم » وفي رواية له : « ولأظلتكم بأجنحتها » ورواه أبو يعلى والبزار برجال ثقات في حديث أنس بلفظ : « لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال التي تكونون عليها لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة » (١).

وفي هذا دليل قاطع على قوة التأثير بالوعظ والتذكير في ترقيق القلوب وتطبيب النفوس ، وتحويلها من حال الففلات إلى حال المشاهدات ، ومن حال الدنيا والانهماك فيها إلى حال الآخرة والرغبة فيها ، فالوعظ والتذكير بالكلام الإلهي والحديث النبوي له روح فعالة تسري في القلوب ، ومن ثم كانت مواعظ النبي ﷺ تؤثر في نفوس الصحابة وترقق قلوبهم فيرتقي بهم الحال إلى ذروة الكمال ، كما قال أسيد بن حضير : لو أني أكون على أحوال ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن وحين أسمعُه يُقرأ ، وإذا سمعتُ خطبة رسول الله ﷺ ، وإذا شهدت جنازة . وقال العرياض بن سارية :

= فقال ﷺ : لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر - أي التذكير بالنار والجنة ، كما دلَّ عليه صدر الحديث ، وفي هذا إشارة إلى أن الدوام على تلك الحال عزيز ، وأن مفارقه لا توجب معتبة ، لما طبع عليه البشر .

(١) انظر موارد الظمان ، وشرح المواهب للزرقاني ، وجمع الزوائد (١٠/٣١٠) وقال رجاله رجال الصحيح .

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها
العيون ، ولذلك قال ابن مسعود : ما كنت أظنّ أحداً من الصحابة
يريد الدنيا - أي من رقة قلوبهم ، ودقة صفائهم ، وطيب نفوسهم -
حتى نزل : ﴿ منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ﴾ .

ولما شعر الصحابة رضي الله عنهم بافتراق الحالين معهم : حالهم
عند رسول الله ﷺ ، وفي مجالس وعظه وتذكيره ، وحالهم مع أهلهم
وأولادهم وحرفهم - خافوا النفاق على أنفسهم ، لأن تغير حال الخلوة
عن الجلوة من أمارات المنافقين ، فأمتهم رسول الله ﷺ مما خافوه ،
ويشّ لهم أن ذلك ليس مسبباً عن النفاق ، كما جاء موضحاً في رواية
البزاري عن أنس قال : قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال ،
فاذا فارقتك كنا على غيره ، فقال ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا :
الله ربنا في السرّ والعلاية ، فقال ﷺ : « ليس ذلكم النفاق » ^(١) .

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة الملك . وقوله ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟ »
أي كيف أنتم مع الله تعالى حين تفارقون مجلسي ؟ فهل تحفظونه بالغيب أم
تنسونه ؟ قال تعالى : ﴿ هذا ماوعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي
الرحمن بالغيب ﴾ الآية . وقال ﷺ : « احفظ الله يحفظك » وهل أنتم
تراقبونه في أموركم أم تغفلون عنه ؟ فقالوا : الله ربنا في السر والعلاية .

ذنو الملائكة من أماكن القرآن وحضورهم فيها : تقدم حديث

أسيد بن حضير : بينما هو يقرأ سورة البقرة ذات ليلة فالتفت فإذا أمثال المصاييح مدلاة بين السماء والأرض ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال له ﷺ : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن - وفي رواية : تلك الملائكة تستمع لك ، وفي رواية : تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة » .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة ، وتسكبت عنه الشياطين - أي تباعدت عنه - واتسع على أهله ، وكثر خيره وقل شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتسكبت - أي تباعدت - عنه الملائكة ، وضاق على أهله ، وقل خيره ، وكثر شره » (١) .

ذنو الملائكة من أهل ذكر الله تعالى ، والمذكرين بالله تعالى ،

ومشاركتهم للذاكرين في ذكرهم : روى مسلم وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد أنها شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم

(١) رواه محمد بن نصر المروزي بإسناده ثم قال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً ، وعن ابن سيرين اه . وقد روى الدارمي أثر أبي هريرة أيضاً .

السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبي ﷺ بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه فقال رسول الله ﷺ : « أما إنكم الملائكة الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآية . أما إنه ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة ، إن سبَّحوا الله تعالى سبَّحوه ، وإن حمدوا الله حمدوه ، وإن كبروا الله كبروه ، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه - وهو أعلم بهم - فيقولون : ياربنا عبادك سبَّحوك فسبَّحنا ، وحمدوك فحمدنا ، وكبروك فكبرنا ، فيقول ربنا جلَّ جلاله : يا ملائكتي أشهدكم أنني قد غفرتُ لهم ، فيقولون : فيهم فلان الخطاء ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

(١) أورده الحافظ المنذري في الترغيب وقال : رواه الطبراني في الصغير اهـ . وتقدمت الأحاديث الدالة على أن لله ملائكة سيارة يلتصقون أهل الذكر ، وهذه الروايات بجملتها تدل على دنوِّ الملائكة وحفيظهم بالذاكرين الله تعالى واشترائهم معهم بذكرهم وحفيظهم بالذاكرين واستماعهم لتذكيرهم ووعظهم . ومن ثمَّ قال الشيخ الأكبر في الجزء الثاني من الفتوحات : ينبغي للذاكر أن يراقب الله ويستحي منه ، ويكون عالماً بما يورده ، وما ينبغي =

تأمين الملك على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب : عن أبي الدرداء

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكّل به : آمين ، ولك بمثله » أي بمثل ما دعوت لأخيك . رواه مسلم وغيره .

= لجلال الله تعالى ، ويجتنب الطّامات في وعظه ، فإن الملائكة يتأذّون إذا سمعوا في الحق وفي المصطفىين من عباده مالا يليق ، وهم عالمون بالقصص ، وقد أخبر ﷺ أن المبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلاً من نثنّ ماجاء به فتمتته الملائكة .

فإذا علم المذكّر أن مثل هؤلاء الملائكة يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرّى الصدق ، ولا يتمرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلاّت من أثنى الله عليهم واجتنابهم ، ويجعل ذلك تفسيراً لكتاب الله تعالى ويقول قال المفسرون ، وما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام ، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية عن قوم - أي اليهود - قالوا في الله ما قد ذكره الله عنهم .

فإذا أورد المذكّر مثل هذا في مجلسه مقتته الملائكة ونفروا عنه ومقتته الله تعالى ، ووجد الذي في دينه رقة رخصة يلجأ إليها في معصيته ، ويقول إذا كانت الأنبياء وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا ؟ وحاشا والله - الأنبياء بما نسبّت إليهم اليهود لهم الله ، فينبغي للمذكّر أن يحترم جلاسه - الملائكة - ولا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله ، ويرغب في الجنة ويحذر من النار ، وأهوال الموقف والوقوف بين يدي الله تعالى .

ثم قال : وقد ذكرنا في شرح كلام الله فيما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم - ماهو شرح على الحقيقة لكلام الله تعالى . اهـ

اقتداء الملائكة بمن أذن وأقام الصلاة في الفلاة : عن سلمان

الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان الرجل بأرض قي - هي الأرض القفر - فحانت الصلاة فتيوضاً ، فإن لم يجد ماءً فليتمم ، فإن أقام صلى معه ملكاه ، وإن أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه » (١)

ولاء الملائكة وبشارتهم للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : قال الله

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون مُنزَلاً من غفور رحيم ﴾ .

روى النسائي وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ فقال : « قد قلها ناس ثم كفر أكثرهم ، فمن قلها حتى يموت فقد استقام عليها » (٢) .

(١) قال المنذري : رواه عبد الرزاق في كتابه عن ابن التميمي عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، عنه .

(٢) والمعنى أن من قلها ووفَّأها حقوقها وواجباتها ومات على ذلك فهو من =

فهو سبحانه يخبر عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت ، فيقولون لهم : لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم ، ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا ، فأنتم في أمان الله تعالى ، فبعدما يؤمنونهم يبشرونهم بالجنة التي كانوا يوعدون بها في الدنيا على لسان الرسول ﷺ ، ويقولون لهم للتطمين والتودد والإيناس : نحن أولياؤكم أي أحبائكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا ، فنحن الذين كنا نصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير ، ونلّم بكم فلهمكم الخير حين كان الشيطان يزني

= أهل الاستقامة ، كما ورد عن الصديق رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً . وتلاها عمر الفاروق رضي الله عنه على المنبر ثم قال : استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : استقاموا على أداء فرائضه .

نعم ، ليس اختلاف هذه الأقوال اختلاف تضاد وانما هو اختلاف تنوع ، فان الاستقامة تشمل تلك الأقوال كلها كما ورد عنه ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » أي لن تحصوا مراتب الاستقامة وفضائلها ، إذ الاستقامة هي إقامة النفس بقلبها وقالها ، وظاهرها وباطنها ، وحواسها وجوارحها ، على الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي ﷺ . قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتدل ماحرّم ربكم عليكم .. ثم قال : وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل .. الآية .

لكم الشر، ونحن الذين كنا ننصركم على عدوكم الإنساني الكافر حين كنتم تقاثلونه . قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ۞ الْآيَةُ ۚ ﴾ ، ونحن أحبا بكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم .

وأما ولاؤهم في الآخرة المشار إليه بقوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فهو إيناسهم وملاطفهم إياهم وحفاوتهم بهم لثلاث تعريضهم وحشة لا في قبرهم ولا في حشرهم ولا نشرهم ، ومصاحبتهم لهم في سيرهم على الصراط ، فهم معهم دائماً محبون ومبشرون مخلصون صادقون ، وما أشد حاجة الإنسان إلى الصديق وقت الضيق !

ومن ولائهم في الآخرة أنهم يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعاتهم وعباداتهم وأذكارهم ، باعتبار أنهم كانوا يشاهدونها منهم في الدنيا ويشهدونها معهم ، فهم يشهدون لهم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ومن الأشهاد ملائكة الله تعالى ، كما ورد عن السلف رضي الله عنهم .

ومن ولائهم في الآخرة شفاعاتهم للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ۚ ۞ الْآيَةُ ۚ ﴾ .

بشارة الملائكة لمن زار أخاه حباً في الله تعالى : روى مسلم عن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرسل الله على مدرجته - أي طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل لك عليه من نعمة تربها - أي تقوم بها وتسعى في صلاحها - فقال : لا ، غير أنني أحبه في الله . قال - الملك - : فأني رسول الله إليك ، إن الله قد أحببك كما أحبته فيه .

صعود الملائكة بالكلم الطيب والعمل الصالح إلى رب العزة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى : إن العبد إذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله : قبض عليهن ملك ، فضمهن تحت جناحه ، وصعد بهن ، لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يُحيى بهن وجه الرحمن . ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ^(١) .

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وقال المنذري : كذا في نسختي يُحيى بالحاء المهملة ، وتشديد اللثاء تحت . ورواه الطبراني فقال : حتى يحيى بالجيم . ولله الصواب اه . وانظر في مقدمتنا على كتاب الصلاة فإن رفع الأقوال والأعمال مفصل هناك .

ما تتأذى منه الملائكة : عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ : « من أكل البصل والثوم والكُرَّاث ، فلا يقربنَّ مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » رواه مسلم . وفي رواية : نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكُرَّاث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها . فقال ﷺ : « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة . فلا يقربنَّ مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس » .

ما تنفر منه ملائكة الرحمة وتبعد عنه : جاء في الصحيحين عن

عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرة^(١) فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، قالت عائشة : فعرفتُ في وجهه الكراهية ، فقلتُ : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ! ماذا أذنبتُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بال هذه النمرة ؟ » فقلتُ : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدّها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم . وقال : إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة »^(٢) .

(١) قال المنذري : النمرة هي بضم النون والراء أيضا ، وقد تفتح الراء وبكسرهما هي الخدّة . اهـ .

(٢) قال في فيض القدير : أي إن ملائكة الرحمة والبركة ، أو الطائفين على =

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة». وروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة». وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس، ولا تصحب الملائكة رفقةً فيها جرس». وعن علي كرم الله تعالى وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا جنب، ولا كلب». رواها أبو داود والنسائي وغيرهما.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق^(١)، والجنب إلا أن يتوضأ». قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن عن عمار ولم يسمع منه، ورواه هو وغيره عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر عن عمار قال: قدمت على أهلي ليلاً

= العباد للزيارة واستماع الذكر ونحوهم - أي من بقية الملائكة الذين يحضرون مجالس العبادات والصلوات كما تقدم - لا الكتب، فانهم لا يفارقون الكلف، وكذا ملائكة الموت. اهـ.

(١) أي المدخن التلطخ.

وقد تشققت يداي ، فخلّقتوني بزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فسَلَّمْتُ عليه فلم يردَّ عليَّ السلام ولم يرحِّب بي ، وقال : « اذهب فاغسل عنك هذا » فغسلته ، ثم جئت فسَلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ ورحِّب بي ، وقال : « إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمِّخ بزعفران ، ولا الجنب » قال : ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .^(١)

وروى البزار باسناد صحيح عن ابن عباس قال : ثلاثة لا تقربهم الملائكة : الجنب والسكران والمتضمخ بالخلوق - أي الذي له لون - . وعن بريدة مرفوعاً : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران ، والمتضمخ بالزعفران ، والحائض والجنب »^(٢) .
وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة

(١) ثم قال الحافظ المنذري : المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، فانهم لا يفارقونه - أي الانسان - على كل حال من الأحوال . ثم قيل هذا في حق كل من أختر الغسل لغير عذر ، ولعذر . لكن - إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ ، وقيل : هو الذي يؤخر الغسل تهاوناً وكسلاً ويتخذ ذلك عادة . والله أعلم اه .

(٢) كذا في الفتح الكبير والجامع الصغير مشيراً له بالصحة . قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى : ومثل الجنب والحائض : النفساء ، ويظهر ان المراد بالحائض والنفساء من انقطع دمه منها وأمكنه الغسل ، لتفريطه بإهاله .

لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم» (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نثن ما جاء به » (٢) .

فيمن تلعه الملائكة : روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي رواية لهما : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

ومن ذلك : ما رواه الطبراني عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره ، لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرّت عليه ، غير الجن والإنس ، حتى ترجع » . ومن ذلك ترويع المسلم : فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعه - وفي رواية : حتى ينتهي - وإن كان أخاه لأبيه

(١) رواه الطبراني كما في الترميز وغيره .

(٢) قال المنذري : رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وقال الترمذي : حديث حسن .

وأمه « (١) .

حماية الملك لمن حمى مؤمناً من منافق : عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حمى مؤمناً من منافق (٢) - أراه قال : بعث الله ملكاً يحمي لجه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً يريد به شينته - أي تقصه وفضيخته - حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » . رواه أبو داود وابن أبي الدنيا .

الحكمة بيد الملك : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « ما من آدي إلا في رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع الآدي - قيل للملك : ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل

(١) رواه الترمذي أيضاً ، والمراد بالحديدة ما يشمل السلاح ونحوه من سكين وسيف ونحوها ، ومعنى : « وإن كان أخاه » أي وإن كان المشير أخاً للمشار إليه ، وبصح عكسه ، لأن ترويع المسلم أو تخويفه حرام ، وإن كان هازلاً ولم يقصد ضربه بذلك ، كما دل عليه قوله ﷺ : « وإن كان أخاه لأبيه وأمه » فإن الأخ الشقيق لا يقصد قتل شقيقه غالباً ، ولكن قد يهزل معه ، وإذا كان هذا يستحق اللعن بالإشارة فما الظن بالاصابة ؟!

(٢) يعني : أنه حمى مؤمناً من منافق يؤذيه بلسانه أو سنانته أو نحوه ، من وجوه الإيذاء .

للملك : ضع حَكَمَتَهُ « (١) .

ملائكة التوفية

قال الله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظةً ، حتى إذا جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ قل يتوفَّاكم ملك الموت الذي وكيَّل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ .

فهو سبحانه وكيَّل ملائكةً للتوفية بأذنه سبحانه ، ورئيسهم هو ملك الموت عزرائيل عليه السلام . وفيهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فالْمُؤْمِنُونَ تتوفاهم ملائكة الرحمة ، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب .

قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم ، وذوقوا عذابَ الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون

(١) قال المنذري : رَوَاهُ الطبراني والبخاري بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن . ثم قال : والحكمة بفتح الحاء المهملة والكاف : هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه اه أي فمن أراد أن يرفع تلك الحكمة فليتواضع .

في غمرات الموت ، والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ،
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم
عن آياته تستكبرون * .

فتنزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة ، كما قال
تعالى : * والنازعات غرقاً * . وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة
تنشط أرواحهم نشاطاً يسر وسهولة ، كما قال تعالى : * والناشطات
نشاطاً * . وقال تعالى * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام
عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * . فالملائكة تتلقاهم بالسلام
والترحيب والبشارة بالجنة .

روى الإمام أحمد في المسند عن البراء بن عازب قال : خرجنا
مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فأنهينا إلى القبر ،
ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا
الطير ، وفي يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه ﷺ فقال :
« استعينوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : إن
العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل
إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم
كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه

مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتُها النفس الطيِّبة! أخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في - أي من فم - السِّقاء - أي بسهولة ويسر - فيأخذها - أي ملك الموت - فإذا أخذها لم يدعَوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الخنوط، ويخرج منها كأطيب نفحةٍ مسكِ وجلت على وجه الأرض.

« فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملائكةٍ إلا قالوا: ما هذه الروح الطيِّبة؟! فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيِّعه من كل سماءٍ مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى.

« قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملائكةٌ فيجلسانه فيقولان: مَنْ ربك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو

رسول الله ، فيقولون : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت . فينادي منادٍ من السماء أنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فافرشوه - أي فافرشوا له - من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها ويُفْسَح له في قبره مدٌّ بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشرُ بالذي يسرُّك ، هذا يومك الذي كنتَ تُوعِد ، فيقول له : مَنْ أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ! فيقول : أنا عمك الصالح ، فيقول - المؤمن - : ربِّ أقم الساعة ربِّ أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي - أي ما أعدَّ الله له في الجنة من المنازل والمراتب العالية التي شاهدها - .

« وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه الملائكة من السماء سُود الوجوه ، معهم المسوح فجلسوا منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه ، فيقول : أَيَّتَها النفس الخبيثة ، أخرجي إلى سَخَطٍ من الله وغضبٍ ، فتفرق في جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السفود^(١) الكثير الشعَب ، من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها - ملك الموت - لم يدعوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عينٍ ، حتى يجعلوها في تلك المسوح - أي الجلود

(١) السَّقُود : الحديدية التي يُشوى بها اللحم .

أو اللباس الغليظ الخشن - فيخرج منها كأنتن ربح جيفة وُجِدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملائكة الملائكة إلا قالوا : ما هي هذه الروح الخبيثة ؟! فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ لا تُفتَح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يَلْسَجَ الجَل في سَمِّ الخِيَاط * أي ثقب الإبرة .

« فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ * ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيقٍ * فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيُجلّسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : مدينك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، وبضيق عليه قبره حتى تختلف - تفرّق - فيه أضلاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي

يسوءك ، هذا يومك الذي كنت تُوعِد ، فيقول له : من أنت ؟
فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول :
رب لا تُقم الساعة « أي خوفاً من العذاب الذي أُعدَّ له في جهنم
وقد رآه حين فتح له بابُ إليها . قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .
وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في « تفسيره » معزواً
للإمام أحمد ، ثم قال : ورواه أبو داود من حديث الأعمش ، والنسائي
وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو ، به . اهـ . وللحديث شواهد
متعددة من طرق عديدة (١) .

وقال تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (٢) . وقيل من راقٍ ﴿
قال ابن عباس في معنى هذه الآية : وقيل من يرقى بروح المحتضر ،
ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ اهـ يعني أنه إذا احتضر الإنسان
تسألت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب من الذي يقبض روحه
ويرقى بها ؟ فكلٌّ منهم ينتظر حكم الله تعالى وأمره بذلك .
روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبي سعيد رضي الله عنه أن

(١) وقال الحافظ المنذري : هذا حديث حسن ، رواه محتج بهم في الصحيح .

وكلمة د هاء هاء ، قالها هنا للتوَجُّع والأسى .

(٢) التراقي : جمع ترقوة ، وهي قرية من الحلقوم . والمعنى إذا بلغت الروح
التراقي وحشرت الصدر واحتدم الأمر .

نبي الله ﷺ قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدلّ على راهب^(١) فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمّل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء^(٢) . فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً

(١) أي عابد مترهب ليس عنده كثير علم ، بدليل قوله بعده « فدلّ على عالم » . وفي هذا إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام لأن الرهبانية حدثت بعده . قال في الفتح : وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له ، غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك ، من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فنلب عليه العلم ، فأفتاه بالصواب ، ودلّه على طريق النجاة . اهـ

(٢) وفي هذا دليل أن من أراد التوبة والاصلاح فعليه أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ، وأن يصحب الأخيار ويكون معهم ، لأن صاحب صاحب ، والمجالسة تقتضي المجانسة . قال تعالى ﴿ اقفوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ .

قط . فأتاهم ملك في صورة آدي ، فجعلوه بينهم - أي جعلوه حكماً بينهم وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى - فقال : قيسوا ما بين الأرضين - أي التي خرج منها والتي قصدتها - فأبى أيتها كان أدنى - أي أقرب - فهو له ، فقاوسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . - وفي رواية لمسلم : فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناءً بصدرة - أي نهض ومال بصدرة نحو القرية الصالحة - ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر ، فجعل من أهلها .

تأمين الملائكة على دعاء الحاضرين عند المريض والمحتضر : روى

مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » . وروى مسلم وأصحاب السنن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة - زوجها حين احتضر - وقد شقَّ بصره ، فأغمضه ، ثم قال ﷺ : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضجَّ ناس من أهله ، فقال ﷺ : « لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال :

اللهم اغفر لأبي سلامة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه من الغابرين ^(١) ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه .

مروئكة السؤال في القبر

قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

يخبر سبحانه بأنه هو الذي يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت عندهم وتمكّن في قلوبهم ، وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها الكريمة في الآية السابقة على هذه الآية : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ وهي لا إله إلا الله ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ الآية ، فهو سبحانه يثبت المؤمنين في الحياة الدنيا ، وذلك بالبقاء عليها مدة حياتهم لا ترحزهم عنها المحن ولا الفتن ، وفي الآخرة أي بعد الموت ، وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة ، وكذلك في مواقف القيامة ، فلا يزّلون ولا يتلثمون إذا سُئلوا في معتقداتهم هناك ،

(١) - أي : كن خليفة له في عقبه - أولاده وذويه من بعده - في رعايتهم وحفظهم على أكمل الوجوه . اهـ مرقاة .

ولا تدهشهم الشدائد والأهوال مهما تقلبت بهم الأحوال .

روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سُئِلَ في القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله تعالى ﴿ يَشْبِتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله مُتَبَتِّلِي هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ فقال ﷺ « يَشْبِتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » (١)

ويتولَّى السؤال في القبر ملكان من ملائكة الله تعالى ، كما روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا : أتاه ملكان فيُقْعِدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ - لمحمد (٢) ﷺ - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك في النار ، قد أبدلك به

(١) قال المنذري : رواه البزار ورواته ثقات .

(٢) هذا بيان من الراوي للرجل ، أي لأجل محمد ﷺ اه مرقاة .

مقعداً من الجنة ^(١) فيراها جميعاً . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ^(٢) فيقال له : لا دريتَ ولا تليتَ ^(٣) ، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ^(٤) .

واسم الملكين منكر ونكير ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قُبر الميتُ أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له

(١) والمعنى انظر إلى مقعدك من النار لو لم تكن مؤمناً ولم تحب الملكين ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة بإيمانك ، فيراها جميعاً ، ليزداد فرحه حين يرى النعيم بعد ما رأى الجحيم ، « وبضدِّها تميز الأشياء » .

(٢) قال ابن حجر : إن أراد بالناس المسلمين فهو كذب ، حتى في المنافق ، لأنه ليس المراد مجرد قول باللسان ، بل اعتقاد القلب ، وإن أراد من هو بصفته - أي منافق أو كافر - فهو جواب غير نافع له . اهـ .

(٣) لا دريت أي لاعلمت ما هو الحق والصواب ، ولا تليت أي ولا اتبعت الناجين اهـ مرقاة .

(٤) والمعنى أن تلك الصيحة يسمعها من يقرب منه من الدواب وسائر المخلوقات إلا الأنس والجن .

فيه ، ثم يقال له : نَمَ . فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ! فيقولان : نَمَ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُ مثله ، لا أدري - أي أنه نبيٌّ أم لا - فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التثمي - أي اجتمعي وانضمي - عليه ، فلتثمي عليه ، فتختلف أضلاعه - أي تفرق وتزول عن مستواها الذي كانت عليه - فلا يزال معذباً ، حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك ، (١) .

فعلى العاقل أن يتهياً لذلك الخطاب ، وأن يستعد للجواب ، فإن الموقف خطير ، وشأن السؤال كبير ، ولذلك أمر ﷺ بدعاء التثبيت للميت بعد الدفن ، كما روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه - أي على القبر - فقال : « استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يسأل » أي قولوا : اللهم ثبته بالقول الثابت ونحو ذلك .

وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها أن النبي ﷺ حمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : « ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيتُه »

(١) قال المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وابن حبان في صحيحه .

في مقامي هذا حتى الجنة والنار ، فأُوحى إليَّ أنكم تُفْتَنُونَ في قبوركم مثلَ - أو قريبَ - من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن - أو الموقن - فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتَّبَعْنَا ، هو محمد - ثلاثاً - فيقال له : نعم صالحاً قد علمنا إن كنتَ لموقناً به ، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول : لأأدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته « (١) .

فعلى العاقل أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ ، وأن يتحقق بمتابعته ليحسن جوابه إذا سئل في القبر، إذ لا يمكنه أن يقول : أجبنّا واتَّبَعْنَا ، دون أن يكون قد أجاب واتبَعَ النبي ﷺ ، وكما أن المكلف يُسأل في القبر عن موقفه مع هذا الرسول الكريم ﷺ فإنه يسأل أيضاً بعد الحشر بين يدي رب العالمين ، كما في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « وليلقينَّ اللهَ أحَدُكم يومَ يلقاهُ

(١) ومن المعلوم أن هذا السؤال إنما هو في عالم برزخي غيبي ، كما هو مفصّل في كتابنا « الايمان بعوالم الآخرة » وفيه بيان بعض الحكم في تشييب ذلك عن مشهد الناس ، ولكنه سبحانه قد يطالع على ذلك بعض عباده فيرون ويسمعون السؤال والجواب ، كما أوضحه العلماء والعرفاء في كتبهم ، وقد عقد الحافظ ابن رجب في كتاب « أهوال القبور » فصلاً خاصاً ذكر فيه عدةً ممن أطلعه الله تعالى على ذلك بالأسانيد الثابتة ، فارجع إليها إن شئت .

وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولنَّ : ألم أبعث
فيك رسولاً فيبلغنَّك ؟ فيقول : بلى . « الحديث . أي فإذا عملت
فيما بلغنَّك رسول الله ﷺ . اللهم وفقنا للسلوك على منهج رسول الله
ﷺ القويم وصراطه المستقيم ، بتيسيرك وعونك يارب العالمين .

مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالإنسان المحيطة بالإنسان

تقدم الكلام على أصناف الملائكة عليهم السلام ، وأن منهم
الموكلين بالتدابير السكونية وتنفيذ الأوامر الإلهية ، حسب إذن الله
تعالى لهم وأمره بذلك ، كما هو مقتضى مشيئته وحكمته سبحانه .

فمنهم الموكَّلون بتدابير أمور الجبال : روى الشيخان عن عائشة

رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكم يوم كان أشدَّ
من يوم أُحُدٍ ؟ فقال ﷺ : « لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان
أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل
ابن عبد كلال^(١) ، فلم يجبني إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهموم

(١) وذلك أنه لما توفي أبو طالب وتوجَّه النبي ﷺ إلى الطائف ، وعمد إلى
ثلاثة نفرٍ من أكابر ثقيف ، لأجل أن يؤووه ، فرض عليهم نفسه ،
وشكاً إليهم أذى قومه في مكة ، فردُّوا عليه ﷺ أقبح ردٍّ وقابلوه
بأشدِّ الأذى .

على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ^(١) ، فرفعت رأسي
 فاذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرتُ فيها فاذا فيها جبريل فناداني
 فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث
 الله إليك ملك الجبال ^(٢) لتأمره بما شئتَ فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم
 عليَّ ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئتَ ، وفي رواية : فما شئتَ - إن
 شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشين ^(٣) - وفي رواية الطبراني : فقال يا محمد
 إن الله بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئتَ ، إن
 شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج
 الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

وفي هذا بيان شفقة النبي ﷺ على قومه الذين قابله بأنواع
 الأذى ، وفيه مزيد صبره وحلمه ﷺ .

ومنهم الملائكة الموكِّلون بالسحب يسوقونها حيث أمرهم الله تعالى :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

(١) اسم مكان ميقات أهل نجد ويقال له : قرن المنازل وهو على يوم وليلة

من مكة ، كما في الفتح .

(٢) أي الملك الموكِّل بالجبال .

(٣) هما جبلا مكة : أبو قيس والذي يقابله وكأنه قمعقان . كما في الفتح ،

والمراد باتباقهما أن يلتقيا على من بمكة فيقضي عليهم كلهم .

ﷺ : « بينا رجل في فلاة من الأرض إذ سمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة^(١) فاذا شرجة من الشراج^(٢) قد استوعبت ذلك الماء ، فتنبع - الرجل - الماء . فاذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته^(٣) . فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ فقال : فلان ، الاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم سألتني عن اسمي ؟ فقال : سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا مأوه - يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فانصنع فيها - أي في الحديقة - ؟ فقال : أما إذا قلتَ هذا ، فأني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثله ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأردُّ عليها ثلثه . » ومنهم الملائكة الموكلون بالرياح وتصريفها وهم خزنها القاعون عليها :

قال تعالى : ﴿ وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ﴾ . قال البخاري : يقال : طغى على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح ، وروى ابن جرير بإسناده عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى على الخزان فخرج ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ . قال : ولم يرسل شيء من

(١) هي أرض ذات حجارة سوداء .

(٢) أي مسایل الماء إلى السهل من الأرض . (٣) هي المجرقة .

الريح إلا بكيـل على يدي ملك إلا يوم عاد ، فانه أُذِن لها دون
الـخـزان فـخـرجت ، فـذلـك قـولـه تـعالـى : ﴿ بـريـحـ صـرـصـرـ عـاتـية ﴾
عـتت عـلى الخـزان ^(١) . اهـ .

وهناك الملائكة الموكلون بالبحار والأنهار والأشجار وغير ذلك .
قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

عصمة الملائكة عليهم السلام من العصبة والذنوب

إن مما يجب اعتقاده في الملائكة عليهم السلام أنهم معصومون
عن المعاصي والذنوب ، بعصمة الله تعالى لهم وحفظه إياهم ، فقد ثبتت
بالادلة القرآنية الصريحة ما يدل على عصمتهم :

الدليل الأول - قول الله تعالى في صفة الملائكة : ﴿ وقالوا :
اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه بل عبادٌ مكرمون . لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون ﴾ . فهم من ناحية القول لا يتقدمون بقول إلا
من بعد أن يأذن الله تعالى لهم في ذلك ، فالإذن منه سبحانه هو
السابق ، وقولهم مسبوق بقوله سبحانه وإذنه ، وأما من ناحية العمل
فلا يتحركون لعمل إلا بأمره تعالى ، فهم أمريئون أي يعملون
بوجوب الأمر الصادر منه سبحانه ، وغير ذلك لا يعملون ، ولذا قدّم

(١) انظر التفاسير ، ومنها تفسير ابن جرير وابن كثير .

قوله ﴿وَمِنْ أَمْرِهِ﴾ على قوله ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ليفيد الحصر بذلك .

وحيث إن الملائكة بأمر الله تعالى يعملون ، فكيف يقع منهم بعد ذلك ذنب ؟! إذ لو وقع منهم ذنب للزم أن يكون عن أمره تعالى لهم بذلك الذنب ، وهذا باطل ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

الثاني - قوله تعالى : ﴿لَا يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ . فهم يأترون بأوامر الله تعالى ولا يعصون الله ما أمرهم كما وأن جميع تحركاتهم الفعلية هي أمرية، أي كلشها قيام بمقتضى أوامره تعالى ، وبها تنفيذ لأوامره تعالى ، فكيف يقومون في معصية أو ذنب ؟!

الثالث - قوله تعالى : ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ . فلا تعثرهم فترات إقطاع عن تسبيح الله تعالى ، لا في الليل ولا في النهار ، ومن كانت هذه صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية ؟

الرابع - قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فهم في مقام الخشية والخافة دائماً ، كما وأنهم دأبهم الدائب يفعلون ما يؤمرون ، فإن المعاصي منهم والمخالفات ؟ .

الخامس - قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ

الناس ﴿ فهم من المصطفَيْنِ لرسالة الله تعالى في تنفيذ أوامره وتبليغها بصدق وأمانة .

السادس - قوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيّاً ﴾ فجميع تنزلاتهم في العوالم، إنما هي بأمر الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم كما وأن جميع تنزلاتهم بالحق والصدق ، قال تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق .. ﴾ الآية . ومعنى قوله تعالى في الملائكة ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيّاً ﴾ أي له سبحانه ما قد آمننا وما خلفنا، وما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، فلا تمالك أن نتقل من مكان إلى مكان ، ولا أن ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الملك سبحانه ومشيتته ، وهو الحفيظ العلام بجميع الحركات والسكنات ، وجميع أحوال الأكوان ، لا تعتريه الغفلة ولا النسيان ، فأنتى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه جل وعلا ؟!

وأما ما قد يتوهمه بعض الناس وما قد يفهمونه من بعض الآيات القرآنية مما يُخِلُّ بعصمة الملائكة الكرام عليهم السلام فهو وهم مرفوع وفهم مدفوع .

فمن تلك الآيات التي قديتوهم منها مايتوهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

فقد يتوهم منها اعتراض الملائكة على الله تعالى ، ولكن الحق ليس بذاك ، فإن قولهم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ليس هو سؤال اعتراض ، فانه سبحانه لا يُسأل عما يفعل ، ولكن كما قال المحققون إنه سؤال استفسار واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة ، واستخبار عما يرشدهم ، ويزيح شبهتهم ، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره ، وليس باعترض على الله تعالى ، ولا طعنًا في بني آدم على وجه الغيبة ، فانهم أعلى من أن يُظنَّ بهم ذلك ، لقوله سبحانه : ﴿ بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ فانهم لم يتقدموا بهذا القول من السؤال والاستفسار إلا بعد الإذن لهم في ذلك ، لأنهم لا يسبقونه بالقول سبحانه .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام كرامٌ بررةٌ أقياء فطناء أدباء مع الحضرة الربانيّة ، لا يتأنسى منهم الانتقاد ولا الاعتراض على الله تعالى في مقاله المبيّن لمنزلة آدم ، والمعلن بفضله والمؤذن بشرفه ،

فانه سبحانه أراد أن يعلن بمنزلة آدم ويعلم الملائكة بفضله وشرفه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ وَهُوَ فِي اللِّغَةِ مِنْ خَلْفٍ غَيْرِهِ ۚ وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ ۚ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ۚ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۚ كَمَا هُوَ مَفْصَلٌ فِي كِتَابِهِمْ ۚ قَالَ الْعَلَامَةُ الْبَيْضَاوِيُّ : وَالْمُرَادُ بِهِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ۚ لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ۚ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ ^(١) اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَسِيَاسَةِ النَّاسِ ۚ وَتَكْمِيلِ نَفْسِهِمْ وَتَفْظِذِ أَمْرِهِ فِيهِمْ لِلْحَاجَةِ بِهِ تَعَالَى إِلَى مَنْ يَنْوِيهِ ۚ بَلْ لَقِصُورُ الْمُسْتَخْلَفِ عَلَيْهِ - أَيُّ بَنِي آدَمَ مَا سِوَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ قَاصِرُونَ - عَنْ قَبُولِ فَيْضِهِ تَعَالَى ۚ وَتَلْقَى أَمْرَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ ۚ وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَنْبِءْ سُبْحَانَهُ مَلَكًا ۚ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ﴾ . اهـ

(١) قَالَ تَعَالَى فِي دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ۚ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ﴾ . الْآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَلِيلِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ . الْآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَلِيفَةِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِذَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ۚ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ﴾ . الْآيَةُ . وَمَنْ قَارَنَ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَاعْتَبَرَ بِمَا فِيهَا وَتَبَصَّرَ بِعَاقِبَتِهَا أُبْقِنَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ حَقًّا ۚ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ أَنَا إِمَامُ النَّبِيِّينَ ۚ وَخُطِيبُهُمْ ۚ وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ ۚ غَيْرَ فَخْرٍ ۖ﴾ . ﷺ

فجعل الله سبحانه الرسل رجالاً حتى تلقى الناس عنهم دينهم وأحكام شرعهم ، ويسمعوا كلامهم وتعاليمهم ، ويروا أفعالهم ويتبعوهم في أعمالهم ومعاملاتهم وسيرهم وأخلاقهم وآدابهم ، إلى ما وراء ذلك .

﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ استفسروا عن الحكمة خلفائها عليهم ، مستعلمين ومستفهمين ، ولذا جاء الجواب : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . واختلف في وجه معرفتهم بأن سيقع من ذرية آدم إفساد وسفك ؟ : فقيل : إنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى لهم بذلك ، ولم يقصّ علينا ذلك الإخبار اكتفاءً بدلالة الجواب عليه للإيجاز ، كما هو عادة القرآن الكريم . ويؤيد ذلك ما روي في بعض الآثار أنه لما قال الله تعالى ذلك قالوا : وما يكون من ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فعند ذلك قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ .

وقيل : عرفوا ذلك بالتلقي من اللوح ، وقيل : عرفوا ذلك استنباطاً مما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، وقيل : عرفوا ذلك قياساً لأحد الثقلين - وهم الانس - على الآخر - وهم الجن قبل

الانس - باعتبار أنهما - أي الثقيلين - غير معصومين . وقيل : عرفوا ذلك من تسمية آدم خليفة ، لأن الخلافة تقتضي الإصلاح ، وتقويم المستخلف عليه وإيقافه عند الحدود^(١) ، وذلك يستلزم أن يصدر منه فساد إما في ذاته بمقتضى الشهوة ، أو في غيره من السفلة . وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك^(٢) .

وأما قصّة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس فيها ما يطمع بالملائكة ويخلّ بعصمتهم ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمّون إلى ما سمعوه أكاذيب يلقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدوتونها في كتبٍ ويقراءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام ، وإنه ما تمّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير .. فأنزل هذان الملائكان لتعليم السحر

(١) انظر جميع ما تقدم في تفسير البيضاوي والنسفي وروح المعاني ، وغيرها من التفاسير .

(٢) ولا يخلو بعض تلك الوجوه السابقة عن نظريّ فيها ، ولكن تركنا الاطالة مخافة اللالة .

ابتلاءً من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ، وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة ^(١) ، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إِنَّمَا نَعْلَمُكُمُ السَّحْرَ لتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فانكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إِنَّمَا أَنزَلْنَاهَا لِيُحْصَلَ بِسَبَبِ إِرْشَادِهِمَا الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ سَلِيمَانُ وَأَتَمَّ لَهُ اللَّهُ بِهِ مَلَكُهُ ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر ^(٢) اهـ .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَلَوْا ﴾ ^(٣) الشياطين ﴿ يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرؤها الكهنة ﴾ على

(١) انظر ذلك في تفسير البضاوي والنسفي والخازن والآلوسي وغيرها .

(٢) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

(٣) وهو حكاية حال ماضية ، والأصل « تَلَتَ » ، وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلوا : محمول على ذلك ، لا أن « كان » هناك مقدرة . اهـ من تفسير روح البيان وغيره .

ملك سليمان * أي على عهده وزمان ملكه * وما كفر سليمان * فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إيثاه وعمله ، كما أشيع عنه من قبيل الكهنة * ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * إغواء وإضللاً ، قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر - أي هنا في الآية - ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان ، مملاً يستقل به الانسان ، وذلك لا يستتب * - أي لا يتم - إلا لمن يناسبه - أي الشيطان - في الشرارة وخبث النفس ، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون . اهـ .

* وما أنزل ^(١) على الملكين * يعني أنهم يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ما أتوا الشياطين من السحر ، واتبعوا ما أنزل على الملكين * ببابل هاروت وماروت * اسمان علما ^(٢) بيان للملكين . والذي أنزل

(١) جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل « ما » نفي معطوف على قوله وما كفر سليمان ، اهـ .

(٢) وهما أعجميان ، منعا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : عريان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعها من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال : يحتمل أنها معدولان من الهارت والمارت اهـ من روح المعاني وغيره .

عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة كما تقدّم .

﴿ وما يعلمان من أحد ، حتى يقولوا إنما نحن فتنه ﴾ يعني أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينصحاها ويقولوا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، وعنة واختبار ﴿ فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر ﴾ : أي وما يعلمان أحداً حتى ينصحاها ويقولوا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا - أي السحر - وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقّى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به . اهـ ونقل ذلك العلامة الألوسي في تفسيره بالنص .

﴿ فيتعلمون منها ما يفرّقون به بين المرء وزوجه ﴾ أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ﴾ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشئته وخلقه . وقد أمر الله تعالى بالتعوّذ من شر النفوس الساحرة النفاتات في العُقَد كما جاء في سورة الفلق .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقةً ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ، ولكن بأذنه تعالى ومشيئته وخلقه . وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفضله .

هذا وإن البحث في عالم الملائكة عليهم السلام واسع الأطراف ، فسيح الأكناف ، وقد اقتصرنا منه على المهمات والموجزات ، فنسأل الله تعالى أن يعفو عن السيئات ، ويمعظم لنا أجر الحسنات ، ويعطف علينا قلب مصدر الخيرات والبركات ، ومنبوع الفيوضات والفتوحات ، سيدنا وشفيعنا عند ربنا ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم ، إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

مول عالم الجن

إن من جملة العوالم التي أثبتها القرآن الكريم - عالم الجن ، فقد ذكرهم الله تعالى في مناسبات من الآيات متعددة، بيّن فيها مادة خلقهم وأوضاعهم ، كما بيّن مسؤوليتهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية ، وأن منهم المسلمين ومنهم القاسطين ، وأن منهم الصالحين ، ومنهم دون ذلك ، كما بيّن سبحانه في الآيات القرآنية وجوهاً من اتصالات الجن بعالم الإنس .

كما وأن السنة النبوية قد تناولت ذكر عالم الجن ، وبيّنت قضاياهم ، وأوضحت ما عليهم من التكاليف الشرعية بموجب الدعوة المحمدية ، فقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الاسلام وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم ما أمرهم الله تعالى به من العقائد والأحكام ، وبيّن لهم الحلال والحرام ، بمقتضى أنه الرسول العام ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن ، وأنهم عالم حقيقي ليس وهمياً تخيالياً ، ولا ضرباً من النفوس البشرية الشريرة ، ولا من القوى البشرية الخبيثة ، ولا من نوع الجرائم المكروية الضارة ، فان جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجن - هي تحريف لكلام الله تعالى

عن معانيه المرادة منه ، وصرف له عن الوجه المخبر عنه ، إلى وجه آخر هو في معزل عنه ، وإنما الجن عالم خفي^(١) حقيقي الوجود ، له شأنه وأحكامه .

وقد صنفنا الكتب في تفصيل ذلك ، وإنما أذكر - إن شاء الله تعالى - طرفاً مهماً من البحث حولهم ، باعتبار أن هذا الكتاب لم يوضع لذلك ، وسوف يأتي التفصيل إن شاء الله تعالى بعد ذلك .

خلق الجن

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾^(٢) .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « خُلِقَتِ الملائكة من نور ، وخُلِقَتِ الجانُّ من مارجٍ من

(١) فإن مادة كلمة (جن) تدل على الستر والخفاء ، ومن ذلك : ﴿ جن عليه الليل ﴾ أى ستره وأخفاه بظلامه ، ومنه سميت الأجنة في بطون الأمهات لاستتارها وخفائها ، ومنه : الميكن - الشرس - لانه يقي صاحبه ويستتره .

(٢) ففي هذا بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي مارج من نار . والمرج الاختلاط ومنه سمي المرج ، لاختلاط النباتات فيه ، ومرج أمر الناس اختلط . فالجن مخلوقون من مختلط من نار ، وهو اللهب المختلط بسواد النار ، من : مرج الشيء إذا اضطرب واختلط .

نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في أول الكتاب .

وقد أخبر سبحانه أن الجن خلقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ .

وقد نبّه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً أوّلاً للجن ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هو - أي إبليس - واحد من الجن ، قال تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن . الآية ﴾ ، وأما أبو الجن الذي هو كآدم عليه السلام للبشر ، فانه غير إبليس ^(١) .

(١) انظر فتوحات الشيخ الأكبر ، ويواقيت الشيخ الشعرائي وغيرهما ، فليس إبليس أول الجن ، ولكنه أوّل أشقياء الجن ، أي أول من شَطَن من الجن ، كما أن قاييل أول أشقياء الإنس . فمن كفر من الجن سمي شيطانا جنياً ، ومن لم يكفر منهم يسمى جنياً ، كما أن من كفر من الإنس سمي شيطانا إنسياً ، ومن لم يكفر فهو إنسي ، قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . وقد أمر سبحانه بالتموّد من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يا أبا ذر تعوّد بالله من شر شياطين الإنس والجن ، قلت : يا رسول الله والانس شياطين؟! فقال : « نعم » .

مفاهيم الخلق

الجن هم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية ، قادرة على التشكل بصُورٍ مختلفة ، يأكلون ويشربون ، وفيهم الذكر والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ، ويموتون طائفةً بعد طائفة ، كما هو في الإنس .

فباعتبار أنهم أجسام لطيفة نارية لا يراهم الإنس في الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وأما رؤيتهم إذا تشكلوا في غير صورهم فهي محققة الوقوع .

وأما إنهم يتشكلون بصور مختلفة - صورة رجال أو بعض الحيوانات - فيدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : دَعْنِي فَإِنِّي مَحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . فَقَالَ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ ، وَسَيَعُودُ » .

قال أبو هريرة : فعرفتُ أنه سيعود ، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود . فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذه ، فقلت : لأرفعَنَّكَ

إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دعني فاني محتاج وعليّ عيال ، لا أعود ، فرحمته فخلّيتُ سبيله ، فأصبحتُ ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله شكاً حاجةً وعيالاً ، فرحمته ، فخلّيتُ سبيله ، فقال : « أما إنه قد كذبك ، وسيعود » .

قال أبو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذه ، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود ! . فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : وما هي ؟ قال : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .. ﴾ حتى تحتم الآية ^(١) ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان - وفي رواية ابن مردويه : لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى - حتى تصبح ، فخلّيتُ سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيتُ سبيله ! فقال ﷺ : « وما هي ؟ » قلت : قال لي إذا أويت

(١) وفي رواية أبي المتوكل : عند كل صباح ومساء ، وفي حديث معاذ بن جبل زيادة : وخاتمة سورة البقرة : آمن الرسول .. إلى آخرها ، كما في الفتح .

إلى فراشك فاقرا آية الكرسي من أولها حتى تحتم الآية : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أي الصحابة أحرص شيء على الخير - فقال ﷺ : « أما إنه صدقك ، وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ » قلت : لا ، فقال : « ذاك شيطان » أي شيطان من الشياطين .

وقد ذكر في الفتح من فوائد الحديث : أنه قد يتصور الشيطان بعض الصور فتتمكن رؤيته ، وأن الجن قد يأكلون من طعام الإنس ، ويظهرون لهم ويتكلمون بكلامهم ، وأنهم قد يسرقون ويخدعون . اهـ فقد تشكّل الشيطان الجني بصورة ، وأتى إلى أبي هريرة في بيت الصدقة يحثو من الطعام وكان منه ما كان . وقد وقع نظير ذلك مع أبي أيوب الأنصاري وأبي بن كعب كما في سنن النسائي وغيره ، ففي حديث أبي بن كعب أنه كان له جرن فيه تمر ، وأنه كان يتعاهده ، فوجده ينقص ، فاذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم ، قال أبي بن كعب : فقلت له : أجنبي أم إنسي ؟ فقال : بل جني .. الحديث .

وأما إن الجن يموتون ففي الصحيح من دعائه ﷺ : « اللهم إني أعوذ بمرتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا

تموت ، والجن والإنس يموتون » . وهم يموتون قرناً فقراً كالإنس ، قال تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه أفٍ لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟ وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله ﴾ أي الحشر وما وراءه ﴿ حق ﴾ ، فيقول ما هذا إلا أساطير ﴾ أي أباطيل ﴿ الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أممٍ قد خلت ﴾ أي مضت وهلكت ﴾ من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ فقوله تعالى : ﴿ قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ دليل على موت الجن طائفة بعد أخرى كالإنس . نعم قد يطول عمر بعضهم أكثر من الإنس . وقال تعالى : ﴿ بحق ﴾ عليهم القول في أممٍ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ الآية .

وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن وأن منهم العفاريت^(١) الأشداء الأقوياء . فسخر لسيامان عليه السلام جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه ، وتصنع له ما يشاء من المحاريب والتماثيل ، والجفان الكثيرة ، والقصور الكبيرة .

قال تعالى : ﴿ وحشر لسيامان جنوده من الجن والإنس والطير ، فهم يُوزعون ﴾ فهو سبحانه يذكر فضله على نبيه سيامان بأنه حشر له

(١) جمع عفريت ، وهو المارد القوي الداهية .

أي مُجمع له العساكر القوية الكثيرة من نوع الجن والانس والطير،
 ﴿فهم يوزعون﴾ أي يكفُّ أولهم على آخرهم ، لئلا يتقدم أحد منهم
 عن منزلته المرتبة له ، وليكونوا مجتمعين فلا يتخلف منهم أحد، وذلك
 للكثرة العظيمة ، وفيه إشعار بتمام مسارعتهم بالانتظام ، والاصطفاف
 بإحكام . وكان الذي يليه من الجنود هم الإنس ثم الجن ، ثم الطير
 نُظله ومن معه بأجنحتها ، مع التزام كلٍّ من قادة الطيور مكانه
 المعين له .

وقال تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ومدى
 قوتهم : ﴿ قال يأيها الملأ أئتيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟
 قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني
 عليه لقويٌّ أمينٌ ﴾ .

وذلك أن سليمان عليه السلام لما أراد إحضار عرش بلقيس من
 بلدة قبيلة سبأ في اليمن ، إلى مقام سليمان في الشام ، قبل أن تصل إليه
 بلقيس ومعها وزرائها ليرىها عظيم قدرة الله تعالى ، والقوة التي مكنه
 الله تعالى منها وملكه العظيم ، ولتشاهد أدلة نبوته وصدقه عليه الصلاة
 والسلام . ولأجل أن يختبر عقلها ، أمر بأن يُنكسر لها عرشها : أتعرفه أم
 تنكره ؟ فنادى بالملأ : ﴿أئتيكم يأتيني بعرشها ؟﴾ .

فأنبرى له عفريت من الجن وقال : ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي مجلس حكمك بين الناس وقضائك فيما بينهم . وكان يجلس من الصبح إلى نصف النهار أو قريب منه ، وقيل المراد قبل أن تستوي من جلوسك قائماً . ثم أكد له ذلك بقوله : ﴿ وإني عليه لقوي ﴾ أمين يعني أنه لا يصعب ولا يشق عليه ذلك ، لأنه قوي ، ولا يأخذ منه شيئاً ولا يبدل فيه ، لأنه أمين ، وذلك لأن عرشها كان مثقلاً بالجواهر ومليئاً بالنفائس الثمينة .

فهذا التعهد من العفريت الجنى والتزامه إحضار ذلك العرش بين يدي سليمان مع قطعه تلك المسافات الشاسعة : دليل على شدته وقوته ، ومع ذلك فإن نبي الله سليمان عليه السلام أراد ما هو أعجل من ذلك ، وكان الأمر كما أراد .

وقال تعالى : ﴿ ولسليمانَ الرِّيحَ غدوًّا لها شهر ، ورواحها شهر ، وأسَلَّنا له عينَ القطر ، ومن الجنِّ من يعمل بين يديه بأذن ربِّه ، ومن يَزِغُ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذابِ السَّعير . يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجِفافٍ كالْجِوابِ وقُدُورٍ راسياتٍ ، اعْمَلُوا آلَ داودَ شكرًا ، وقليل من عبادي الشُّكُور ﴾ .

وفي هذا يبين الله تعالى فضله على نبي الله سليمان عليه السلام ،

﴿ولسليمان الريح﴾ أي سخرنا لسليمان الريح ﴿غدوُّها شهر ، ورواحها شهر﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشيّ مسيرة شهر ، فكانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين ، وفي هذا بيان قوة الريح المسخرة ، لأنّ ثَقُلَ سليمان وجنوده الكثيرة وتحملهم حيث أراد عليه السلام . ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي النحاس المذاب ، أساله له سبحانه من معدنه ، فنبع منه نبوع الماء من ينبوع ﴿ومن الجن﴾ أي سخرنا له من الجن ﴿من يعمل بين يديه باذن ربه﴾ . أي كل ذلك بمشيئته سبحانه وإذنه بذلك ﴿ومن يزغ منهم﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿عن أمرنا﴾ أي عما أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة وهو عذاب الحريق ، وقيل : في الدنيا أيضاً ، بأن يسلط عليه الملوك سوط نارٍ ، فيضربه به الملك إذا استعصى الجني عن طاعة سليمان عليه السلام .

﴿يعملون له مايشاء من محاريب﴾ أي من مساجد شريفة وقصورٍ منيفة ﴿وتماثيل﴾ وهي نقوش وتجملات في الجدران . وقيل : صور للأشجار وما لا روح له ، وقال بعضهم : صور السباع والطيور ^(١) .

(١) كما في تفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما من التفسير ، وذلك أنه كان مباحاً في شريعتهم ، وقد ذكروا أنه لم يكن يأمرهم بفعل ذلك عبثاً أو =

﴿ وجفان ﴾ الجفان جمع جفنة وهي ما يوضع فيها الطعام وهي أعظم القِصاع أو من أعظمها ﴿ كالجواب ﴾ جمع جابية من الجباية ، وهي الجمع ، والمعنى : أنهم يصنعون له الجفان الكبرى التي هي كالحياض الكبرى ، وكلها مملوءة بالطعام . قيل : كان يقعد حول الجفنة الواحدة من تلك الجفان ألف رجل ﴿ وقدر ﴾ جمع قِدر ، وهو ما يطبخ فيه ، ولكنها واسعة الحجم ﴿ راسيات ﴾ ثابتات على الأنافي لا تنزل عنها لسعتها ﴿ اعملوا آل داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور ﴾ .

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما قيل لهم ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ لم يأت ساعة على أهله وولده من الليل والنهار إلا ومنهم قائم يصلي . وفي رواية : كان مصلي داود لم يخلُ من قائم يصلي ليلاً ونهاراً ، وكانوا يتناوبون ذلك .

مطالبة الجن بالتطيف السريعة

ذهبت جماهير أهل العلم إلى أن الجنَّ مكلفون بالشرائع الإلهية ،

= لهواً ، فانه نبي رسول مزه عن ذلك ، بل الحكيم في ذلك ومهمات ، ومن ذلك تقييد الحيوان أو الطير التمثل له وتحديد حد له ، حتى لا يبغي على غيره ولا يؤذي غيره ، وهذا بموجب تصرف القوى الروحية ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك .

وأنهم تناولهم الأوامر والنواهي الشرعية . وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك كثيرة شهيرة .

قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيامة ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرّتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ . فدلّ ذلك على تكليفهم كما كلفت الإنس ، وتوجّه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس ، ولذلك اعترفوا بأنهم كفرون ، وشهدوا على أنفسهم بالكفر . وقال تعالى ﴿ أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين . ولكلّ درجات مما عملوا ، وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون ﴾ .

ففي هذه الآيات يخبر سبحانه أنّ من الجن والإنس من حقّ عليهم القول أي وجب عليهم العذاب ، وأنه خاسر ، وذلك لا يكون إلا في أهل التكليف المستوجبين العذاب بأعمالهم . وفي قوله تعالى : ﴿ ولكلّ درجات مما عملوا ﴾ دليل ظاهر في ثوابهم وعقابهم ، وأنّ مسيئتهم كما يستحقّ العذاب بإساءته ، فحسنهم يستحقّ الدرجات بإحسانه ، وذلك كله يستلزم أنهم كانوا في الدنيا مأمورين بالشرائع ومتعبدين بها ،

ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الخير والشر .

وقال تعالى ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ أي قَيَّضْنَا للمشركين قرناء من الشياطين ﴿ فزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وهو ترغيبهم في الدنيا وحرصهم عليها ، وتكذيبهم بالآخرة وإعراضهم عنها ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي وجب عليهم العذاب مع أُمَمٍ قَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . ففي هذا دليل على تكليف الثقلين : الإنس والجن ، وتعلق الأمر والنهي بهم جميعاً ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس : رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ، قَالَ : النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . ففي هذه الآية دليل صريح على تكليف الجن ، فإن هذا القول يقال للجن يوم القيامة ، فيذكر الإنسُ استمتاع بعضهم ببعض في الدنيا ، وذلك الاستمتاع هو ما كان بين الجن والإنس في الدنيا من طاعتهم إِيَّاهُمْ في معصية الله تعالى وكفرهم به ، وعبادتهم لهم ليستعينوا بهم على أغراضهم وأهوائهم ، كما قال تعالى ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ، أَكْثَرُهم بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

ومما يدلُّ على تكليف الجن بالشرائع السماوية قوله تعالى ﴿ وَإِذْ

صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ،
 فلما قُضي وَلَّوْا إلى قومهم منذرين . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً
 أنزل من بعد موسى ^{صلى الله عليه وسلم} يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا
 أجيئوا داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من
 عذابٍ أليم . وَمَنْ لَا يُجِبْ داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الأرض ،
 وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلالٍ مبين * .

وقد صح أن نفرًا من الجن سبعة - وقيل تسعة ، وقيل أكثر
 من ذلك - جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ ببطن نخلة ^(١) فلما
 سمعوه قالوا انصتوا ، كما أخبر الله تعالى عنهم .
 وفي هذا وجوه من الأدلة على تكليف الجن :

أحدها - أن الله تعالى هو صرفهم إلى رسوله ﷺ يستمعون
 القرآن ليؤمنوا به ، ويأتمروا بأمره وينتهوا عما نهى عنه .

الثاني - أنهم وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، والإنذار هو الإعلام
 بالخوف بعد وجود أسبابه ، فأنذروهم النار إن عصوا الرسول ﷺ .

(١) وهي اسم لموضع على بُعد ليلة من مكة المكرمة ، وكانوا من جن نُسَيبين ،
 وقد روى ذلك الحاكم وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع بإسناد جيد ، كما
 في شرح المواهب .

الثالث - أنهم أخبروا عن سماعهم القرآن وتعقله وتفهمه ، وأنه يهدي إلى الحق ويهدي إلى صراط مستقيم. وهذا دليل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة ، وهم قادرون على امتثال ما فيه . ومن المعلوم أن التكليف إنما يستلزم العلم والقدرة ، فهم مكلفون .

الرابع - أنهم قالوا لقومهم : يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به . وهذا ظاهر في أنهم مكلفون بمأمورين بأجابة الرسول ، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ﷺ .

الخامس - أنهم قالوا : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب ، وهو مخالفة الأمر ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ . وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله تعالى لم يُجره الله من العذاب الأليم .

ومن الأدلة على أن الجن مكلفون بالأوامر الإلهية والشرائع السماوية : الخطابات والنداءات الموجهة في سورة الرحمن إلى كلٍّ من الجن والانس . فانه سبحانه وتعالى ذكر خلق النوعين ، فقال : ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجن من مارج من نار ﴾ . فذكر نعمته عليهما بالايجاد ، ثم خاطبهم بما يحملهم على الاعتراف بنعمه وكرمه عليهم دون تردد ولا إنكار فقال ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

ثم عدد سبحانه أصناف نعمه على كل من الجن والإنس : النعم الآفاقية والنفسية والسموية والأرضية .

وكما ذكر صنفاً من الكرم والنعم ، أردف ذلك بما يحمل المخاطبين من الإنس والجن على التفكير والاعتبار ، والاعتراف والافرار بنعم المنعم عليهم ، وكرمه الواصل إليهم فيشكرونه ولا يكفرونه ، ويحمدونه ولا يجحدون نعمه .

روى الترمذي وغيره عن جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال : « لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ! كنتُ كلما أتيتُ على قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » .

وهذا يدل على أن الجن قد علموا أنهم مقصودون بهذا الخطاب ، فلذلك أحسنوا الجواب .

ثم قال سبحانه ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ وفي هذا ترغيب في وعده ، وتخويف من وعيده ، وتهديد شديد من عواقب الذنوب ، ثم قال سبحانه ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ وفي هذا بيان للإنس والجان أنه سبحانه لعلمه بهم وبجميع أعمالهم وأقوالهم وما

صدر منهم لا يحتاج أن يسألهم عنها سؤال استعلام ، بل هو يعلم جميع ذلك ، وأحاط بكل ما هنالك ، وجعل للمجرمين علامات تعرفهم بها الخلائق من أهل الموقف . وعلى هذا يكون السؤال المنفي هو سؤال الاستعلام والاستخبار ، لا سؤال المحاسبة والمجازاة ، فانه ثابت قطعاً ، قال تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين : عما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقِفْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المثبتة للسؤال . وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌ ﴾ : هذا وقت البعث والمصير إلى الموقف ، فانهم حينئذٍ لا يسألون ، ولكنهم يُسألون بعد إطالة الوقوف ومرور الشدائد والأحوال ، ثم استشفاعهم إلى الله تعالى أن يريحهم من طول الموقف وكرباته ، وهناك يتقدم للشفاعة العظمى إمام النبیین والمرسلين الذي يقول : « أنا لها ، أنا لها » ﷺ ، فينفضّ أمر الخلائق للسؤال والحساب .

فالجن مكلفون كما أن الإنس مكلفون ، وإن تكاليف الجن هي تكاليف الإنس من حيث الاجمال ، وأما من حيث التفصيل فقد يختصُّ الجن بأحكام فرعية جزئية دون الإنس ، لاختلافها في الجنس ، كما نص عليه العلماء . والله تعالى أعلم .

بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن

قال الله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يِقْصُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟! قَالُوا : شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ، وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ، ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ .

فهو سبحانه يسأل كفار الجن والانس يوم القيامة عن موقف الرسل معهم في الدنيا : هل بلغوهم الدعوة وقصّوا عليهم آيات الله تعالى ؟ وهل أنذروهم عذاب الآخرة ، ولقاء يوم القيامة ، وما يحتوي عليه من سؤال وحساب وعذاب وثواب إلى غير ذلك ؟ . فكلهم يُقرّون ويعترفون بأن الرسل قد بلّغتهم وأوضحت وأنذرت، ويشهدون على أنفسهم بالكفر وأنهم غرّتهم الحياة الدنيا . ثم نبّه سبحانه بقوله بعد اعترافهم وإقرارهم بأقامة الحجة عليهم ، فقال ﴿ ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ أي بل لا بدّ وأن يرسل فيهم من ينبّئهم من غفلاتهم ، ويوقظهم من سكراتهم ، ويخرجهم من ظلماتهم ، حتى لا يُبقي عذراً لمعتذر ، ولا حجة لمن يحتج ، حتى إذا

عذبهم عذبهم بحق وعدل ، لا جَوْر ولا ظلم ^(١) .

(١) وقد اختلف العلماء هل كان في الجن نبي مرسل اليهم منهم؟ فذهب الجمهور سلفاً وخلفاً إلى أن الرسل الذين أرسلوا إلى الجن هم رسل الانس ، وأن النبوة والرسالة الاسلمية هما من خصائص الانس كما قال الحافظ السيوطي في لقط المرجان : جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي* ، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنها ، ومجاهد والكلبي وأبي عبيد ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ قال : ليس في الجن رسل ، إنما الرسل في الانس ، والنذارة في الجن ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ اه . يعني أنه سبحانه أثبت لهم مقام الانذار فقط ، فهو نظير قوله تعالى في الانس : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ .. ﴾ الآية . فكان كل رسول من الانس يرسل إلى أقوام خاصة من الانس والجن ، ثم بعث رسول الله سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الانس وكافة الجن .

وذهب الضحَّاك بن مزاحم وبعض العلماء إلى أن في الجن رسلاً منهم محتجين بقوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ قال في الفتح : فروى الطبري من طريق الضحَّاك إثبات ذلك وقال : ومن قال بقول الضحَّاك احتجَّ بأن الله تعالى أخبر أن في الجن والانس رسلاً أرسلوا اليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الانس لجاز عكسه ، وهو فاسد . اه كلام الطبري كما في الفتح .

وقد أجاب الجمهور عن قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ بأن المراد أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْ مَجْمُوعِكُمْ وَأَحَدُ نَوْعِيكُمْ ، =

وقال سبحانه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقد أخبر

سبحانه في عدة من الآيات أنه يعذب كفرة الجن كما يعذب كفرة
الانس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس في النار .. ﴾ الآية . فما عذبهم حتى بعث فيهم
رسولا بلّغهم الدعوة وأقام عليهم الحجة . فهذا دليل آخر على أن الجن
قد بلّغهم الرسل الدعوة وبيّنت لهم الشريعة المكلفين بها .

ومن الأدلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن : قوله تعالى إخباراً عن الجن

حين سمعوا القرآن من النبي ﷺ : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل
من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق

= لا من جميعكم ومن كل نوع منكم . قالوا : وهذا له نظائر وأشباه في
لغة العرب الفصيحة ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ أي في إحداهن ، وليس
في كل سماء قمر .

وقد اتفق الكل على بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى جميع طبقات الانس
والجن بلا خلاف ، كما نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه قال : لا يختلفون
أنه ﷺ بعث إلى الانس والجن - أي كافة - وهذا مما فضل به على
الأنبياء . اه صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

مستقيم ﴿ فهذا القول منهم يدل على أنهم كانوا قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ، وأنهم كانوا عالمين بكتاب موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فلما سمعوا القرآن قالوا إنه مصدق لما بين يديه ، أي لما تقدم من التوراة ، وسائر كتب الله النازلة على الرسل صلوات الله وسلامه على رسولنا وعليهم أجمعين .

ففي هذا دليل على أنهم كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه السلام ، ثم راحوا يتعبدون بشريعة سيدنا محمد ﷺ .

ومن الأدلة على أن الجن قد بلغتهم رسل الله تعالى التكليف الشرعية ويثبتها لهم : إخباره سبحانه عن كفار الجن أنهم في النار ، كما أخبر عن كفار الانس أنهم في النار ، فكلا الفريقين من كفارهما - هو كافر شرعاً ، فما هو الدليل الشرعي على تخصيص كفار الانس ببلوغ الدعوة لهم دون الجن ؟

بلوغ دعوة النبي سيدنا محمد ﷺ لعالم الجن

أجمع العلماء على عموم بعثة النبي ﷺ إلى عالم الجن ، وبلوغ دعوة لهم ، واستدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أما الدليل على عموم رسالته إلى عالم الجن . فقد قال سبحانه :

﴿ قل أيُّ شئٍ أكبر شهادة ؟ قل : الله شهيد بيني وبينكم ، وأُوحى إليَّ هذا القرآنُ لأنذركم به ومن بلغ .. ﴾ الآية . وإن الجنَّ قد بلغهم القرآن بنص القرآن . قال تعالى : ﴿ قل أُوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ . والجن هم من عالم التكليف .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مُفْضِلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتٍ - فَذَكَرَ مِنْهَا - : وَأَرْسَلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَةً » . فَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ الْخَلْقِ عَالَمُ الْجِنِّ . قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَبُتَّ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي حَدِيثٍ : « وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبُعْثَتْ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ . اهـ
وقد نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه لا خلاف في أنه ﷺ بُعِثَ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .

وقد ثبت بلوغ دعوته ﷺ إِلَى الْجِنِّ قِطْعاً ، وَكَانَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقٍ تَوَافَقَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَمَاعِهِمْ إِلَيْهِ ﷺ ، وَعَنْ طَرِيقٍ ذَهَابَ إِلَيْهِمْ وَقَرَأَتْهُ عَلَيْهِمْ ، وَسَوَّالَاتِهِمْ لَهُ وَجَوَابَاتِهِ لَهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا

إليك نفرّاً من الجن يستمعون القرآن .. إلى قوله تعالى : يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به * . والمعنى : أجيئوا داعي الله الذي جاء يدعوكم إلى الله ، وقد دعاكم ، فيحقق عليكم أن تجيئوه ، ولو لا أنه ﷺ مأمور بدعوتهم لما وجبت إجابته عليهم . وقال تعالى : * قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن .. إلى قوله تعالى : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به * أي سمعنا الهدى من محمد رسول الله ﷺ فآمنا به .

وروى مسلم عن علقمة قال : سألت ابن مسعود رضي الله عنه هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا ^(١) . ولكنّا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ! فقيل : استطير ؟! أو اغتيل ؟! - استفهام تعجبي - قال ابن مسعود : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حِراء ، فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فقال ﷺ : « أتاني داعي الجن ،

(١) وقد ورد أيضاً في حديث آخر أن ابن مسعود سئل : أكنت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : أجل . كما رواه ابن جرير وأبو نعيم . وفي المسند عن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ، وفي رواية : أنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن . فهذه الروايات لاتنافي ما نحن فيه ، لأن القصة متعددة كما نبه على ذلك المحققون .

فذهبتُ معهم ، فقرأت عليهم القرآن » . قال ابن مسعود : فانطلق رسول الله ﷺ بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه عن الزاد فقال : « كلُّ عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرةٍ أو روثة علفٌ لدوابكم » . قال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما ، فانهما طعام إخوانكم » . وروى أحمد في مسنده نحوه .

وفي مسند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمكة ، إذ قال : « ليقم معي رجل منكم » وفي رواية أخرى : استبعثني رسول الله ﷺ - أي بعث إليَّ - فخرجت مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودةً مجتمعةً ، قال فخطأ لي رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : « قم ههنا حتى آتيك » فقمْتُ ومضى رسول الله ﷺ إليهم ، فرأيتهم يتنوّرون إليه ^(١) ، قال : فسمّر معهم رسول الله ﷺ ليلاً طويلاً حتى جاءني الفجر . وفي رواية أخرى فجعلوا يركبون رسول الله ﷺ - أي يتزاحمون عليه - وجعل ﷺ يقرأ عليهم ^(٢) .

وتقدّم حديث الترمذي أنه ﷺ قرأ سورة الرحمن على الجن .

(١) أي يتطلعون إلى رؤيته ﷺ من بعيد .

(٢) وقد أورده الامام أحمد في مسنده بأسانيد متعددة موزعة في مسند ابن مسعود .

اصناف الجن وافترافهم على طرائق

قال الله تعالى إخباراً عنهم ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ ، وَمَنَا دُونَ ذَلِكَ ، كُنَّا طَرَائِقَ قَدِيدًا - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَنَا مِنَّا الْمَسْمُونُونَ ، وَمَنَا الْقَاسِطُونَ ^(١) ، فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .
فقد أخبر سبحانه أن الجنَّ على طرائق قدِّد أي : طرائق متقطعة ،
ومشارب متفرقة ، وآراء متعددة . فمنهم الصالح ، ومنهم الطالح ،
ومنهم المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم المتَّبِع ومنهم المبتدع ، ومنهم اليهودي
والنصراني والمجوسي ، إلى غير ذلك ، كما هو في الانس .

فالمسلمون منهم يقال لهم : الجن المسلمون ، وصلحاؤهم يقال لهم
صلحاء الجن ، والكفار منهم يُسمَّون شياطين ^(٢) الجن ، وأول شيطان
جني هو إبليس ^(٣) كما قال فيه سبحانه : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

(١) القاسط : هو الظالم الجائر الناكب عن الحق ، بخلاف المقسط ، فهو العادل
المستقيم على الحق .

(٢) جمع شيطان ، مأخوذ من : شَطَنَ بمعنى بَعُدَ ، أو من : شَاطَ بمعنى
احترق ، فوزنه « فَيْعَال » أو « فَعْلَان » .

(٣) انظر كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه . قال الحافظ ابن عبد البر : الجن
عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب ، فاذا ذكروا الجن خالصاً =

أمر ربّه * .

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، واستدلوا على أنه كان من الجن وليس هو ملكاً بوجوه من الأدلة :

أولاً - إن إبليس مخلوق من النار ، قال تعالى إخباراً عنه :
* خلقتني من نارٍ وخلقته من طين * والملائكة مخلوقون من النور كما تقدم في حديث مسلم .

ثانياً - إن إبليس له ذرية . قال تعالى : * أفتخذونه وذريّته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌ ؟ * .

وأما الملائكة فلا ذرية لهم ، لأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا شهوة لهم ^(١) .

ثالثاً - إن إبليس كان من الجن بنص القرآن ، والجن ليسوا ملائكة ، لقوله تعالى : * ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للملائكة :

= قالوا جي ، فان أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ، والجمع عمّار ، فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فان خبت وتعرّض بالأذى والوسوسة قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت . اهـ .

(١) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟! قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ﴿ فدلَّت الآية على أن الجن جنس آخر غير الملائكة .

رابعاً - إن الملائكة عليهم السلام معصومون عن المخالفة والمعصية ، ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بأمر الله تعالى يعملون ، وإن إبليس خالف أمر الله تعالى بالسجود لآدم ، ولم يعمل ما أمره الله تعالى به .

وأما من قال من العلماء بأن إبليس من الملائكة : فاحتجَّ بأنه لو لم يكن ملكاً لما تناوله الأمر بالسجود لآدم ، لأن الأمر بالسجود لآدم كان موجَّهاً للملائكة بنص ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ فلو لم يكن ملكاً لما كان تخلفه عن السجود لآدم يوجب طرداً وإبعاداً حينئذٍ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء القائلون بأن إبليس من الجن ، أجابوا عن قوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ بأنه استثناء من جنس المأمورين ، لا من جنس الملائكة ، ويكون التقدير : وإذ قلنا للملائكة ولا إبليس : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس . تقول : أمرتُ إخوتي وعبدي بكذا ، فأطاعوني إلا عبدي ، فالعبد ليس من الإخوة ، ولا داخلاً فيهم إلا من حيث شمله الأمر بالفعل معهم . هذا وإن قوله

تعالى : ﴿ ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتكم ﴾ يشير إلى أن هناك أمراً موجهاً عليه بالسجود . وأجابوا أيضاً بأن استثناءه من الملائكة استثناء من غير الجنس فهو منقطع ^(١) .

موقف الشيطان من الإنسان

قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًّا ﴾ . فالشيطان عدوٌّ للإنسان مبين ، فينبغي للإنسان أن يقف معه موقف المعادي الحذر من شره ومكره . ومن شدة عداوة الشيطان للإنسان أنه يبذل جميع جهوده وطاقاته في تضليل الإنسان وتزيين الكفر والطغيان والفساد له ، قال تعالى : ﴿ فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم أي كفرهم وفسقهم .

ومن عداوته أنه يعد الإنسان بالفقر واليأس مما يؤمله ويرجوه ، ويأمره بالفحشاء ، قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ . كما وأنه يسعى في إزعاج الإنسان وتحزينه ، قال تعالى : ﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾ . كما وأنه يسعى في إلقاء العداوة بين بني آدم ، وإثارة البغضاء فيهم بشتى الأسباب القولية

(١) وثمة أجوبة متعددة تحتاج إلى تفصيل .

والعملية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَرِّ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يوقع الشرور ويفسد ذات البين .

كما وأن من شأن الشيطان أن يقذف في القلب الأباطيل والظنون السيئة ، ويوسوس ويفسد .

ففي الحديث عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ثم قتلت لأقلب - أي لأرجع - فقام معي ليقبني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حبي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا - » (١) .

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، ونقل الكرماني عن الامام الشافعي أنه قال في معنى الحديث : إنه ﷺ خاف عليها الكفر لو ظن أنها به التهمة فبادر إلى إعلامها بمكانها نصيحة لها في الدين ، قبل أن يقذف الشيطان في قلوبها أمراً يهلكان به .

وقد نبّه الله تعالى عباده إلى أن خطر الوسواس الشيطانية كبير وشرّها مستطير ، وأنه ينبغي للعبد أن يلجأ إلى ربه ، عائذاً به من همزات الشياطين ، قال تعالى ﴿ وقُلْ رَبِّ اعُوذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذْ بِكَ رَبُّ أَنْ يُحْضِرُونِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قُلْ اعُوذْ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

ومن وسوسته ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَاذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه » . أي فليترك التفكير في هذا الخاطر الباطل ، وليفكر بالأمر الحق ، لئلا يستحوذ عليه الشيطان بتلك الوسوسة الفاسدة والتخيّلات الكاسدة ، فإنها من باب القلق والتشويش .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقَالَ هَذَا : خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟ فَاذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا : اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، ثُمَّ لِيَتَفَلَّ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . يعني أن ذلك وسوسة باطلة ،

لاموقع لها من الاعتبار والقبول في موازين العقول ، فان الله أحد واحد ، ولا أحد قبله ، إذ أن الواحد العددي النسبي لا واحد قبله ، فما ظنك بالواحد الأحد المطلق الذي له الوحدة الذاتية المطلقة سبحانه وتعالى ؟!

ومن شر الشيطان أنه يحاول أن يكفر الانسان بأنواع من المكفرات ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في البدع الضالة ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في كبائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يوقعه في صغائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يشغله بالمباحات التي لاثواب فيها ولا عقاب عليها ، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الأعمال ، فان عجز عن ذلك حاول أن يشغله بالعمل المفضول عن العمل الأفضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول أن يشوّش على المؤمن فكره ويعكّر عليه صفاءه . ولذلك ينبغي للعبد أن يعود بربه ، ويتحصّن به من شرور الشياطين .

وإن للتحصّن والتحرّز من وساوس الشياطين ومضارهم ومفاسدهم أسباباً وإقياً ، أرشد الشارع الحكيم إليها وإلى إيقاعها في مواقعها : أحدها : التعموذ بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . أي السميع المجيب

لاستعاذتك ، العليم بحالك وبما يحفظك من نزغات الشيطان ^(١) .

(١) وقد علّم النبي ﷺ أمته وجوهاً من التعوذ حسب مقتضى الحالات التي هم فيها :

فمن ذلك التعموذ حالة الغضب ، ففي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان ، فأحدهما احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد .. » الحديث .

ومن ذلك التعوذ عند رؤيا يكرهها ، كما في الصحيحين عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم في منامه الرؤيا يحبها فأنما هي من الله فليحمد الله عليها ، وليتحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فأنما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله من شرّها ولا يذكرها لأحد فانها لاتضره ، وفي رواية لسلم : فليصق عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه » .

ومن ذلك التعوذ عند إرادة الخلاء ، روى أبو داود وابن ماجه بسند حسن عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ : « إن هذه الحشوش - كناية عن الخلاء - محتضرة - أي يحضرها الشياطين - فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : « أعوذ بالله من الخبث والخبائث » . وفي الصحيحين : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » . قال في المرقاة : يعني ذكران الشياطين وإنائهم .

وفي المسند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات تقولها عند النوم من الفرع : « بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة ، من =

ثانيها : التسمية ، فانها وقاية من شر الشيطان (١) .

= غضبه وعقابه ، ومن شرّ عباده ، ومن هزات الشياطين ، وأن يحضرون ، قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه . قال ابن كثير : ورواه أبو داود والترمذي والنسائي اه .

وفي الصحيح أنه ﷺ كان يُعوّذ الحسن والحسين : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .

(١) فمن ذلك التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته ، وخروجه منه ،

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء » . وفي السنن عن أنس عن النبي ﷺ : « من قال إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقال له حسبك ، هُديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

والتسمية عند إرادة الجماع ، كما في الصحيحين والمسند عن ابن عباس رضي الله

عنها أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك : لم يضره الشيطان أبداً » أي لم يضره باضلاله وإغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، ولا ياتزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل إنه يكون حسن العاقبة ، ويموت على الإيمان ، =

ومن أعظم التعويذات الإكثار من قراءة المعوذات ^(١) .
 فمن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يتعوذ من الجان
 وعين الانسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فأخذ بهما وترك ما سواهما ^(٢) .

= وفي هذا إشارة عظمى . اهـ ملخصاً من فيض القدير .

ومن ذلك التسمية على آنية الطعام ، وعند إغلاق الباب ، وإطفاء المصباح ونحو
 ذلك ، كما في الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
 ﷺ : « إذا استجبح الليل - أو كان جنح الليل - فكفثوا صبيانكم ،
 فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلثوهم ، وأغلق
 بابك ، واذكر اسم الله ، فان الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأطفئ مصباحك
 واذكر اسم الله ، وأوكِ سقاءك - أي شدَّ عليه رباطه - واذكر
 اسم الله ، وخمِّر إناك - أي ضع عليه غطاءً - واذكر اسم الله ، ولو
 أن تعرض عليه شيئاً ، وأطفئوا المصابيح فان الفويسقة - أي الفأرة -
 ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » .

(١) وهي سورة الفلق والناس والاخلاص ، من باب التليب ، أو إن أقل
 الجمع اثنان .

(٢) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والضياء في المختارة وصححه ،
 كما في شرح المواهب ، وقال في المواهب : وهذا لا يدل على النع من التعوذ
 بغير هاتين السورتين ، بل على الأولوية ، ولا سيما مع ثبوت التعوذ
 بغيرها اهـ أي كما تقدم في الأحاديث الصحيحة .

وإنما كان ﷺ يكثر من التعوذ بهما ، لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة =

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ثم يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفلق . وقل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . وقال ﷺ لعقبة بن عامر : « اقرأ المعوذات في دُبُر كل صلاة » أي لما فيها من الحفظ والوقاية .

= من كل مكروه جملة وتفصيلاً ، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح ، والاستعاذة من شر الناسق إذا وقب - وهو الليل إذا أظلم ، والقمر إذا غاب - تتضمن الاستعاذة من شر ما انتشر فيه من الأرواح الخبيثة ، والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الساحرة وسحرهن ، ومن شر حاسدٍ تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية .

وسورة قل أعوذ برب الناس تتضمن الاستعاذة من شر الانس والجن المشار إليه بقوله الوسواس أي الذي يوسوس للأدعي عند غفلته عن ذكر الله تعالى . الخناس : الذي يخنس عند ذكر الله تعالى ، من الجنة والناس : بيان للشيطان الوسوس أنه جني وإنسي . قال تعالى : ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ أو من الجنة : بيان للشيطان الوسوس ، والناس : عطف على الوسواس اهـ ملخصاً من شرح المواهب .

وفي هذا تنبيه إلى خطر الوسواس وكبير إفساده وضرره ، وأن الانسان ينبغي له أن يعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، ليحفظه من شر الوسواس الخناس ، وإذا لم يفعل ذلك فهو في مهاوي الضلال ومهامه الهلاك .

وفي السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة .

ثالثها - قراءة آية الكرسي ، وتقدم عن أبي هريرة في الصحيح أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وكذلك قراءة خاتمة سورة البقرة ، فيها وقاية من الشياطين . فروى الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يُقرأ بهنَّ في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها شيطان » . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة - وفي رواية : في ليلته - كفّته » أي كفّته شرّ الشياطين والآفات ، ومن المساوئ والمكاهر ، وقيل : معناه حسبه بهما فضلاً وأجرًا ، أو إنها أقل ما يجزىء من القراءة في قيام الليل .

هذا وإن قراءة سورة البقرة في البيت تنزل عليه الخير والبركة ، وتبعد عنه الشياطين وتحفظ أهل البيت من السحرة ، كما جاء في

الحديث الذي رواه مسلم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » . يعني أن المواظبة على تلاوتها والعمل بها نماء وبركة في العمل والعمر والرزق ، وترك تلاوتها حسرة وفوات خير وبركة ، ولا يستطيعها البطلة أي السحرة ، لأن لها سلطاناً وقوة .

وقد ورد أن تلاوة القرآن تنزل لها الملائكة كما تقدم في الأحاديث الصحيحة ، ومتى نزلت الملائكة انهزمت الشياطين ، سيما إذا قرئ القرآن جهرًا في الليل ، فقد روى أبو داود عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لعمر : « مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتك » فقال عمر : يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال له ﷺ : « اخفض شيئاً » .

رابعها - من جملة ماورد لأجل التحفظ والتحرز من شرور الشياطين ، مارواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد - وفي رواية للبخاري : يحيي ويميت - وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة : كانت له عِدْلُ عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومُحِبَّتْ عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من

الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاَّ أحد عمل أكثر من ذلك » .

خامسها - الإكثار من ذكر الله تعالى ، فان ذكر الله تعالى حصن حصين للذاكر ، كما روى الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا ، فذكر الحديث وقال في الخامسة : وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، قال : وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلاَّ بذكر الله تعالى » .

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً : « إن الشيطان واضعٌ خَطْمه - أي فمه - على قلب ابن آدم ، فان ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا سها وغفل وسوس ، فاذا ذكر الله خنس . اهـ . وذلك لأن للذاكر معية إلهية خاصة ، كما جاء في صحيح ابن حبان أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول :

أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه». ولأن ذاكر الله تعالى تحفٌ به الملائكة ، فكيف يستولي عليه الشيطان؟! وقد فصلنا ذلك فيما سبق . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً .

ومن أجمع التعاويز وأقواها تأثيراً ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أُسري بي عفريتاً من الجن يطلبني بشعلة من نارٍ ، كلما التفتُ رأيتُه ، فقال لي جبريل عليه السلام : ألا أعلمك كلماتٍ تقولها فتطفئ شعلته ويخترُ فيه - أي يقع على وجهه - فقال رسول الله ﷺ : بلى . فقال جبريل : قل أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شرِّ ما ينزل من السماء ، ومن شرِّ ما يعرج فيها ، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض ، ومن شرِّ ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخيرٍ يارحم» (١) .

فهذه جملة موجزة من الأسباب الواقية من شرور الشياطين ووسوستهم ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتب السنة النبوية .

(١) رواه مالك عن يحيى بن سعيد مرسلًا ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه ، ورواه أحمد وأبو يعلى ، ولكل منها إسناد جيد محتج به ، عن عبد الرحمن بن خنيس التميمي رضي الله عنه ، وقد سئل كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن؟ فذكر الحديث وقال في آخره : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى . اهـ كما في ترغيب المنذري .

مصر عالم الجن يوم القيامة

أجمع العلماء على أن كفار الجن هم في النار يوم القيامة، لورود ذلك بنص الآيات القرآنية . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ فِيهَا مِيقَاتٌ وَالْمُؤَادُّونَ وَالْمُؤَادُّونَ . وَجُنُودٌ إبليسَ أَجْمَعُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنْخَبَرًا عَنِ الْجِنِّ ﴾ وَأَنَا مِنَ الْمَسْلُومِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ . فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا .

وهذه الآيات تدل على أن الجن مكلفون بالشرائع التي جاءت بها الرسل ، ووجوب اتباعهم لهم ، وقد تقدم الكلام على عموم بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الجن ، كما عمّت كافة الانس ، وأنه يجب على الجن طاعته ﷺ كما يجب على الانس .

فان قيل : إن الجن خلقوا من نار ، فإذا تَوَثَّرَ فيهم نار الشهاب في الدنيا ونار العذاب في الآخرة ؟

فقد أجاب المحققون عن ذلك بأنه لا يلزم إذا كان الجن خلقوا من نار أن يكونوا ناراً ، أو أن النار لا تؤلمهم ، فان الانس خلقوا

من تراب ، ولكنهم ليسوا تراباً ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم
وصوّرهم ، ولو أن إنسياً أهيل عليه التراب أو هُدم عليه بيت من التراب
لاستفث من الأوجاع والآلام ، وهكذا الجن خلقوا من نار ولكنهم
ليسوا بنار ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم وصوّرهم ، وإن النار تؤلمهم
وتحرقهم .

وأما حكم مؤمني الجن في الدار الآخرة : فالجماهير على أنهم في
الجنة ، وذهبت طائفة من العلماء إلى أن ثواب المؤمنين منهم هو نجاتهم
من النار ، ثم يكونون تراباً ، أو يبقون على الأعراف .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ يا قومنا أجيئوا
داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويحجزكم من عذاب أليم ﴾ .
فجعل غاية ثوابهم إجارته من العذاب الأليم .

وقد استدلل الجماهير على أن كافر الجن في النار بقوله تعالى :
﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي ﴾
ففي هذا دليل على أن الله تعالى أرسل الرسل صلوات الله عليهم إلى
الإنس والجن ، والرسل إنما جاءوا مبشّرين ومنذرين ، كما قال تعالى
﴿ رسلاً مبشّرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل ﴾ وقد ترجم البخاري على ذلك في صحيحه فقال : باب ذكر
الجن وثوابهم وعقابهم ، لقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم

يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي . ﴿١٠﴾ * آيَةٌ . بِخَسَا : نَقْصًا .
 قَالَ مُجَاهِدٌ : ﴿١١﴾ وَجَمَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا * . قَالَ كِفَارٌ قَرِيشِي :
 الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَأُمَهَاتُهُمْ بَنَاتُ سُرَوَاتِ الْجَنِّ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سَيُحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ . ثُمَّ
 أورد حديث أبي سعيد بالسند المتصل : « إِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ
 فَادْنُتَ بِالصَّلَاةِ ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ
 الْمُؤَذِّنِ جَنَّاتٌ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قَالَ
 أَبُو سَعِيدٍ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . اهـ .

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْجَنِّ ﴿١٣﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ آمَنَّا بِهِ ،
 فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * . فَالْبَخْسُ هُوَ النِّقْصُ ،
 وَالرَّهَقُ هُوَ الظُّلْمُ . فَالْبَخْسُ الْمُنْفِي هُوَ نَقْصَانُ الثَّوَابِ ، وَالرَّهَقُ الْمُنْفِي
 هُوَ الظُّلْمُ وَالزِّيَادَةُ فِي الْعُقُوبَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ
 ثَوَابِ مُحْسِنِهِمْ ، وَلَا يَزِيدُ فِي سَيِّئَاتِ مُسِيئِهِمْ . وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى
 ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * .
 وَبِذَلِكَ اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ عَلَى ثَوَابِ الْجَنِّ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ ﴿١٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ .
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ * . فَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَنَاوَلُ صَنَفِي الْجَنِّ
 وَالْإِنْسِ ، بِدَلِيلِ أَنَّ « مَنْ » عَامَّةٌ ، وَبِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ

تكذبان * فانه خطاب للانس والجن . وقد نقل عن الامام مالك أنه استدل بذلك على ثواب مؤمني الجن .

وقال تعالى * فيهن قاصرات الطرف لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان * . وقال تعالى : * حور مقصورات في الخيام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جان . فبأي آلاء ربكما تكذبان * . فهذا مما يدل على أن مؤمني الجن في الجنة .

هذا وقد أجملنا البحث حول عالم الجن ، وذكرنا بعض ما فيه الكفاية ، بعدما فصلنا الكلام على عالم الملائكة عليهم السلام . والله تعالى نسأل ، وبرسوله الأكرم ﷺ نتوسّل ، أن يدخلنا في زمرة عباده الذين قال فيهم : * أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ، وعند الصدق الذي كانوا يوعدون * .

وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، عدد خلق الله تعالى ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . وكان الفراغ من تدوين هذا الكتاب يوم الاثنين الموافق ١٤

الفهرس

- ٣ المقدمة ، وفيها : بيان الحكيم من الايمان بالملائكة عليهم السلام .
- ١٠ وجوب الايمان بالملائكة عليهم السلام .
- ١٩ حقيقة الملائكة عليهم السلام .
- ٢٣ تمثيلات الملائكة ، وفيه : مجيء الملائكة ضيوفاً إلى سيدنا إبراهيم وإكرامه لهم من وجوه عديدة .
- ٢٦ تمثيلات جبريل عليه السلام حسب المناسبات .
- عالم المثال
- ٣٢ حكم الجسم المثالي ، والأدلة عليه ، وبحث حول مجيء ملك الموت إلى سيدنا موسى لقبض روحه .
- ٣٦ تمثيلات المعاني بصور مثالية ، وفيه : تمثيل القرآن ، والرحيم .
- ٤٠ تمثيلات الأعمال في عالم القبر وما وراءه من عوالم الآخرة .
- ٤٣ تمثيلات الأقوال : التسبيح ، والتحميد ، وقراءة القرآن .
- ٤٦ تمثيلات الأموال : تمثل المال الذي لم تؤدَّ زكاته .
- ٤٨ تمثيلات أيام الدنيا يوم القيامة .
- ٤٩ عبادة الملائكة وخشيتهم من الله تعالى .
- ٥٠ صلاة الملائكة لله تعالى .
- ٥٢ خوف الملائكة من الله تعالى ، وفيه : شرح أسباب الخوف .
- ٥٦ تكريم الله تعالى للملائكة ، وذكره لهم في مناصب العز والشرف .
- رؤساء الملائكة عليهم السلام
- ٦٠ جبريل : صفاته : رسول ، كريم ، ذو قوة ، مكين ، مطاع ، أمين ، روح القدس .
- ٦٥ من وظائفه : تنزيله بالشرائع على الرسل عليهم الصلاة والسلام .
- ٦٨ تأييد الله تعالى رسله بجبريل عليهم الصلاة والسلام .
- ٧٠ كفاية الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام شراً المستهزئين ، بواسطة جبريل .
- ٧٢ تأييده تعالى أنصار الرسول ﷺ بجبريل .

تحبيب الله تعالى جبريل بأحبابه المؤمنين الصالحين .	٧٣
تهديده تعالى المعاندين لرسله بواسطة جبريل .	٧٤
أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركى الشرائع بواسطة جبريل .	٧٥
القوى الملكية والعظمة الجبريلية .	٨١
خشية جبريل من الله تعالى .	٨٥
تلقي جبريل الوحي عن الله واستفراق الملائكة من هيئة الوحي .	٨٦
إكرام رسول الله ﷺ لجبريل .	٨٧
إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه .	٨٨
حول ميكائيل عليه السلام .	٩٤
✓ حملة العرش المجيد : عددهم ، عظمتهم ، هيئتهم ، وظائفهم .	٩٦
الملائكة الأعلى ، الندي الأعلى ، الرفيق الأعلى .	١٠٦
الكروبيون . ١١٣ الميسمون . ١١٤ مقام من عنده .	١١٣
خزنة الجنة ، ورئيسهم رضوان ، ويان لم سمي ، رضواناً .	١١٦
خزنة النار ، ورئيسهم مالك ، وصفاتهم .	١٢١
أصناف الملائكة عليهم السلام	١٢٦
مواقف الملائكة من الانسان بالنسبة لأمره التكوينية أو الدينية :	١٣٠
الموكلون بتطوير النطفة ، ونفخ الروح فيها .	١٣٠
تعداد وشرح الكتابات الالهية المشتملة على جميع الأقوال والأعمال ..	١٣٢
شرح حديث « فجع آدم موسى » .	١٣٦ ت
بيان مطول أن كتابة المقادير على الانسان لاتنفي اختياره لأفعاله .	١٣٨ ت
الملائكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعاله ، وهل يكتبون على الانسان كلامه المباح ؟	١٤١
اطلاع الملائكة السكاكين على ما في قلوب بني آدم ، وماذا يعملون بعد موت الموكلين به .	١٤٥
بيان الحكيم في كتابة أعمال بني آدم .	١٥٢
الموكلون بحفظ بني آدم من المضار ، بإذن الله تعالى .	١٦٠
القرين من الملائكة يدل ابن آدم على الخير .	١٦٢

- ١٦٣ ملائكة اللة بان آدم ، وفيه : أقسام الخواطر التي ترد على القلوب وشرحها.
- ١٦٨ حضور الملائكة مجالس العبادات
- شهودهم يوم الجمعة ، وصلاته ، والصلاة ، والمصلي ، ومجالس الذكر والقرآن والصلاة على النبي ﷺ .
- ١٧٧ إكرامهم للذاكرين الله والتالين للقرآن ، وتزلمهم بالسكينة على قارئه .
- ١٨١ حقهم طالب العلم ، ووضعهم له أجنحتهم ، وشرح هذا الوضع .
- ١٨٥ ت كلمة مسبهة في إكرام الله لأولى العلم ، وبيان ماهو العلم النافع .
- ١٨٧ بيان من تصلي عليه الملائكة .
- ١٩١ دنو الملائكة ممن رقت قلوبهم بالوعظ والتذكير ، ومن أماكن القرآن ، ومن الذاكرين والمذكرين .
- ١٩٦ ت تنبيه الشيخ الأكبر رضي الله عنه للواعظ أن يتحرى الصحة في تذكيره ووعظه .
- ١٩٨ ولأ الملائكة وتزلمهم على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .
- ٢٠٢ ما تتأذى منه الملائكة وما تنفر منه .
- ٢٠٥ من تلغنه الملائكة .
- ٢٠٧ ملائكة التوفية وفيه: حديث البراء في إكرامهم الروح الطيبة ، وإهاتهم الروح الخبيثة .
- ٢١٥ ملائكة السؤال في القبر ، وعمم يكون السؤال ؟
- ٢٢٠ مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالأكوان المحيطة بالإنسان : الموكلون بالجبال ، وبالسحب يسوقونها حيث يؤمرون ، وبالرياح .
- ٢٢٣ عصمة الملائكة من المعصية
- ٢٢٦ بيان أن لا ذنب منهم في قولهم « أتجعل فيها من يفسد فيها .. » .
- ٢٢٩ شرح قصة هاروت وماروت ، وبيان أنه ليس فيها ما يخل بعصمة الملائكة .
- وبه يتم الكلام عن الايمان بالملائكة عليهم السلام .
- حول عالم الجن
- ٢٣٤ إثبات الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام لعالم الجن .
- ٢٣٥ خلق الجن ، وفيه : مادتهم الخلقية ، وبيان أنه ليس إبليس أباً أولاً للجن .
- ٢٣٧ صفاتهم الخلقية ، وتعريفهم ، وشرح التعريف .
- ٢٤٠ إخباره تعالى عن قوة الجن .

- ٢٤٤ مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية ، مع تفصيل الأدلة القرآنية على ذلك .
- ٢٥١ بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، وهل في الجن نبي مرسل إليهم منهم ؟
- ٢٥٤ بلوغ دعوة نبينا ﷺ لعالم الجن والأدلة على ذلك .
- ٢٥٨ أصناف الجن واقتراهم على طرائق ، وفيه الأدلة على أن إبليس من الجن لا من الملائكة .
- ٢٦١ موقف الشيطان من الانسان ، وفيه : وجوه عداوة الشيطان للانسان .
- ٢٦٤ تعداد جملة موجزة مما يحفظ الانسان من الشيطان ، كالتعوذ، والتسمية .. وتمويذات نبوية نافعة جامعة .
- ٢٧٣ مصير عالم الجن يوم القيامة ، وبيان أن النار تؤلمهم ، وإن كانوا قد خلّقوا منها .
- ٢٧٤ الجماهير من العلماء على أن مؤثني الجن في الجنة ، وأدلة ذلك .

الخطأ والصواب

س	ص
٤	٢٠
١٥	٢٦
١٢	٤٨
١٢	٥٥
٣	٦٤
١٢	٧٠
١٤	٧٥
٥	٨٤
١٣	١٠٨
١٥	١١٧
٦	١٩٩
٢	٢١٩
٧	٢٤٠

والجان خلقناه من قبل
وعيت عنه
حتى يدخلوا
من الله تعالى
فيخلق عيسى
الذي جثمهم
والذين آمنوا معه
رأيت
في أحسن صفة
عليها السلام
أجائبكم
مثل أو قريباً
قد خلت

والجان من قبل
وعيت منه
حتى يدخلون
من تعالى الله
فيخلق عيسى
الذي جثم
والذين آمنوا
رأيت
في أحسن صفته
عليه السلام
أجائبكم
مثل أو قريب
قد مضت